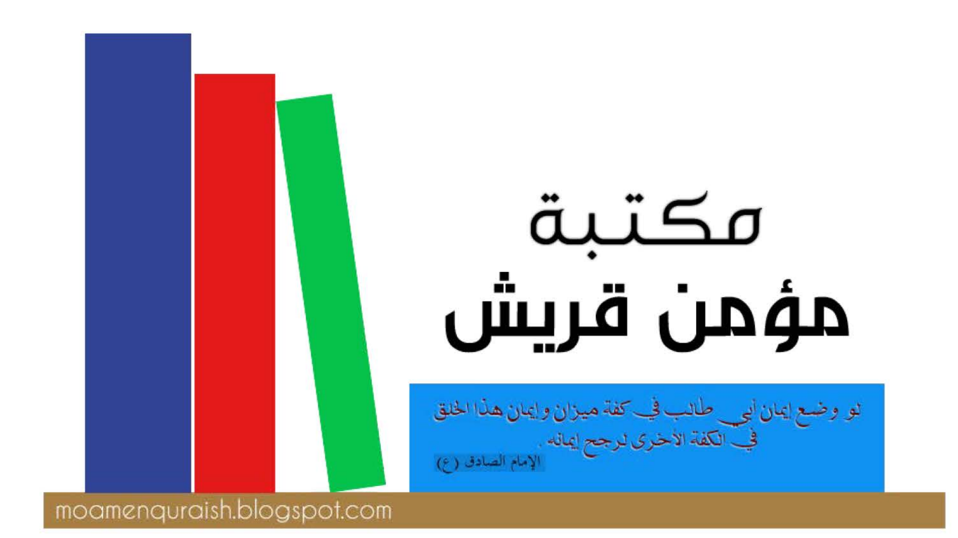
الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي

عليهم السلام

رؤية المعصومين في المنام

حقيقة أم أضغاث أحلام

دار الهادي



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

رؤية المعصومين عليهم السلام في المنام:
حقيقة أم أضغاث أحلام

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

ISBN 9953-484-30-9



هاتف:03/896329-01/550487- فاكس:541199- ص.ب:25/286غبيري - بيروت - لبنان

Tel.:03/896329-01/550487-Fax:541199-P.O.Box:286/25 Ghobeiry-Beirut-Lebanon

E-Mail: daralhadi @ daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الشيخ مالك مصطفى وهبي العاملي

رؤية المعصومين عليهم السلام في المنام

حقيقة أم أضغاث أحلام



للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا شك أن للمنامات تأثيراً في حياة الناس، فقد تفرج همّاً، وقد تكشف سراً، وقد تدخل سروراً على قلب الرائي، أو تضيف إلى همومه همّاً آخر. وقد أخذت المنامات حيزاً هاماً من حياتهم حتى أنهم يسارعون للبحث عمن يفسر ما يرونه في أحلامهم علهم يجدون في تفسيرها ما يريحهم، أو يحقق لهم بعض أمنياتهم أو يدفع عنهم بعض الشرور والسيئات. وقد كان الناس عموماً، وما يزالون، يتأثرون بما يرونه من رؤى تزعجهم، فقد يخفونها عن غيرهم، أو يسعون لتفسيرها بما يخفف من وطأة ذلك في نفوسهم، ويزيل ذلك السوء الذي لاح لهم في المنام. ونظراً لشدة ارتباط المنامات بالوجدان، واهتمام الناس بتفسيرها، غدت كتب تفسير المنامات من أكثر السلع رواجاً، وغدت وسيلة من وسائل الإثبات يعتمدها بعض الخطباء للتدليل على بعض الآراء المذهبية، والعقائدية والفقهية، لتثبيت اتباعه على المذهب الذي هم فيه، فهذا واعظ يؤكد موعظته بمنام رآه فلان أو فلان، وذاك خطيب يؤكد صحة ما يقول عبر منام أو ينفي صحة ما يقوله الآخرون من خلال منام، وهذا لن يعدو كونه استئناساً يلجأ إليه الخطيب والواعظ لما لذلك من أثر في نفوس المستمعين، وربما كان هذا فناً من الفنون التي يلجأ إليها في مقام الخطابة والوعظ.

وربما يصير الرائي في بعض الأحيان محل إعجاب الكثيرين، وتعلقهم به، ويصير ذلك مجالاً لسوء استفادة يقع ضحيته بعض الناس الذين يعجبون بالرائي.

وربما لهذا وغيره، وجدنا في بعض الروايات تحذيراً شديد اللهجة من ادعاء منام لم يره المدعي، منها ما رواه الشيخ الصدوق بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة يعذبون يوم القيامة: من صوّر صورة من الحيوان حتى ينفخ فيها، وليس بنافخ فيها، والذي يكذب في منامه يعذب حتى يعقد بين شعيرتين وليس بعاقدهما، والمستمع من قوم وهم له كارهون يصب في أذنيه الآنك، وهو الأسرب[(١)].

فما يكون وسيلة من وسائل الهداية في بعض الأحيان يغدو وسيلة من وسائل الإضلال في أحيان أخرى، بنفس الأسلوب، فيتكل على منام لإبطال ما يقوله الآخرون، وقد يكون ما قاله الآخرون هو الحق. فالرؤى في عالمي الهداية والضلال سيف ذو حدين، وسيكون التمييز، في كثير من الأحيان، بين الرؤى بقبول بعضها ورد غيرها، فتجعل الأولى من المنامات الصادقة، والأخرى من أضغاث الأحلام، أو ألاعيب الشيطان، أو مظاهر الهوى انعكست في المنامات، تمييزاً اعتباطياً. فإما أن تكون المنامات ذات أثر شرعي أو لا تكون، وإما أن تكون الرؤى وسيلة من وسائل الهداية أو لا تكون.

لقد كان من المسلمات انتفاء أي قيمة شرعية لما يرى في المنامات، ولذا لن تجد فقيهاً يفتي بخلاف ما أوصلته إليه الأدلة لمجرد

---

(١) ثواب الأعمال، الشيخ الصدوق، ص ٢٢٣، والخصال للشيخ الصدوق ص١٠٨.

أنه رأى مناماً، أو أن غيره رأى مناماً يخالف ذلك، وإن اختلفت توجيهاتهم لهذا الرفض وتبريراتهم له. ولئن كان هذا الأمر واضحاً لدى العلماء إلا انه لم يكن كذلك لدى الناس، وكان هذا يؤثر سلباً في كثير من نواحي حياتهم على حركتهم العملية، فربما يتبعون فلاناً لمجرد أنهم رأوا مناماً يدعو لاتباعه، أو سمعوا بمنام يتضمن ذلك، وربما يعدلون عن اتباع فلان لمجرد منام، وما علموا أن الإنسان يتأثر بما يحيط به، وما تختزنه النفس من معتقدات وأفكار، ولهذا قد يرى مناماً يعكس ما مال إليه هواه، فتحديد المذاهب الحقة انطلاقاً من المنام ناشئ من الجهل بالشريعة والمعارف الدينية فما هكذا يكون الهدى، وما هكذا يكون الاتباع والاقتداء. ومن غرائب الأمور أنك لا تجد فئة إلا وقد رأى بعض أفرادها منامات تؤكد صحة ما هم عليه، وهذا بنفسه منبه من الغفلة، ودليل على أن المنامات ليست الدليل الصالح، والطريق الكاشف عن سبيل الهدى والصلاح.

وقد كتب العلماء الأجلاء في موضوع المنامات بشكل وبآخر مثل السيد المرتضى، والشيخ المفيد، والعلامة المجلسي في البحار، والعلامة الطباطبائي في ميزانه، وآخرين من علماء أهل السنة ستأتيك أسماؤهم في محالها.

وفي البدء لم أكن مهتماً كثيراً بالبحث حول قضية المنامات، وهي قضية أخذت حيزاً كبيراً من اهتمام الباحثين، وتأثر بها عوام الناس العاديين، فقد تجد إعراضاً مهما بذلت من جهد، ومهما حدثتهم وخاطبتهم من أجل تقديم نظرة موضوعية إلى المنامات، إلا أن الذي حثني على تقديم هذا البحث أمران:

أحدهما: إصرار جمع من المبلغين على التمسك لصحة معتقد وإبطال آخر بالمنامات، واعتباره وسيلة مهمة من وسائل الهداية والضلال. فلو كنا نعذر العوام إذا فعلوا ذلك فلن نعذر العلماء والمبلغين، إن لم يثبت للمنامات تلك الخاصية. نعم فرق بين الاستدلال وبين الاستئناس والتأييد، فلا مانع من تطعيم بعض الخطب والمواعظ بالمنامات، من أجل ترسيخ فكرة، أو حثٌّ على طاعة، والزجر عن معصية، لكن هذا أمر آخر مختلف عن عالم الهداية والضلال، والأدلة والبرهان.

والثاني: رؤية المعصومين عليهم السلام في المنام، التي ربما يأخذ بها الناس، وبعض أهل العلم أخذ المسلمات، كأنهم رأوا المعصوم عليه السلام حال الحياة، انطلاقاً من قضية اشتهرت بعنوان: «من رآنا فقد رآنا». فكان لا بد من تمحيص هذه القضية تمحيصاً واسعاً، لتحديد مفادها، وماذا قصد بها، مع أن علماءنا لا يلتزمون بها، ولهذا اشتهر أن بعض الفقهاء العظام رأى في المنام أمير المؤمنين عليه السلام ينبهه على خطأ في فتوى، فلما استيقظ لم يعر المنام بالاً، ولم يغير الفتوى. ولما كان البحث في هذه القضية محتاجاً إلى ما يشبه المقدمات والمبادئ في قضية المنامات عموماً تعرضنا لبعضها استطراداً، لكن الهم الأساس هو تلك القضية. سائلين المولى سبحانه وتعالى التوفيق لما يحب ويرضى.

هذا وقد استعرضنا الكلام في هذه المسائل في ضمن بحوث:

البحث الأول: استعرضنا فيه جملة من الرؤى الوارد ذكرها في القرآن الكريم.

البحث الثاني: استعرضنا فيه لآراء جملة من العلماء في حقيقة الرؤى وماهيتها.

البحث الثالث: استعرضنا فيه للرؤى وحقيقتها في الروايات، تمهيداً للوصول إلى رأي واضح فيها.

البحث الرابع: استعرضنا فيه الأثر الشرعي للرؤى، وآراء العلماء فيه.

البحث الخامس: استعرضنا فيه بالتفصيل حول قضية «من رآنا فقد رآنا».

البحث الأول:

رؤيا المنام في القرآن الكريم

لقد تعرّض القرآن الكريم لمسألة المنامات، في سياقات مختلفة بطريقة وبأخرى، وذلك في عدة مواقع:

الموقع الأول: في قصة النبي يوسف عليه السلام:

وذلك في محطات عديدة:

منها: قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾[1].

وقد دلت هذه الآيات على عدة حقائق:

الأولى: إن الرؤيا كان يمكن لو ذكرت لإخوة النبي يوسف عليه السلام أن يكون لها أثر سلبي فيكيدوا له. وهذا ما نشهده لدى

(١) سورة يوسف الآيات ٤ ـ ٦.

كثير من العوام، إذ يحسدون الناس، أو يخاصمونهم بسبب منامات رأوها بحقهم أو سمعوها بشأنهم. وهذه الحقيقة لا دخل لها بحقانية المنامات نفسها، وإنما تدل على أن للناس ردود فعل على ما يسمعونه من منامات تكشف عن ارتكاز لديهم بنحو حقانية لها، ولهذا يرتبون جملة من الآثار عليها، من حسد تارة، أو حذر تارة أخرى. فالحقيقة الأولى إذن، أن الناس ترى حقانية رؤى الأحلام، وتتأثر بها.

الثانية: إن الرؤيا تقع عبر رموز لها دلالاتها في أذهان الناس، وأن إخوة النبي يوسف عليه السلام كانوا قادرين على فهم هذه الرؤيا، ولهذا نهاه أبوه النبي يعقوب عليه السلام عن قص تلك الرؤيا عليهم حتى لا يكيدوا له.

الثالثة: أن للمنامات أهمية في حياة الأنبياء، ولهذا نص عليها القرآن الكريم في هذا المورد، وفي غيره من الموارد، ولولا أنها ذات علاقة بعالم الحقائق لما تمت الإشارة إليها بهذا النحو، خاصة مع ما سيستتبع ذلك من تأكيد على أهمية هذه الرؤيا في كشفها عن الحقائق، وأن ما رآه النبي يوسف عليه السلام كان ذا دلالات سرعان ما انكشف ما تدل عليه، وما تؤول إليه.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ

ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[1].

وقد دلت هاتان الآيتان على عدة حقائق:

الأولى: إن الرؤيا ذات تأويل واقعي، وإن الرموز التي وردت في الرؤيا ذات دلالة على معان واقعية، وإن الله تعالى قد جعل تلك الرؤيا حقاً، لكن بدلالاتها الواقعية لا برموزها الشكلية.

الثانية: إن هذه الرؤيا نحو إلهام وقع في قلب النبي يوسف عليه السلام، للدلالة على ما سيؤول إليه أمره عليه السلام في مستقبل العمر، وهو الذي رأى تلك الرؤيا في طفولته.

الثالثة: إن الرؤيا علم من الله تعالى يهبه لمن يشاء من عباده، وهو علم يبدو أنه نحو من أنحاء العلم بالغيب بتعليم من الله تعالى، واكتساب منه، له نحو ارتباط بعلم تأويل الأحاديث، والله العالم بالأحداث والمجريات.

ومنها قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ

---

(١) سورة يوسف، الآيتان ١٠٠و ١٠١.

ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾[1].

لقد أدرك الفتيان أن النبي يوسف عليه السلام عالم بتأويل تلك الرؤى، ولم يذكر القرآن ما هي العلامات التي استند إليها الفتيان في ذلك الإدراك، إلا قولهما ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فلا بد أن يكون هذا الإحسان الذي رأياه في النبي عليه السلام سنخ إحسان يسمح لهما باكتشاف قدراته وطلب التأويل منه. فربما كانا مسبوقين بأن الصالحين قادرون على تعبير الرؤيا تعبيراً صحيحاً، يركن إليه في هذا المجال، فرأيا فيه سيماء الصالحين الملازم لتلك القدرة. فهما لا يريدان أن يتسليا مع النبي عليه السلام، وإنما أرادا الوصول إلى الحقيقة التي تخفيها رؤيا كل منهما. ولم يخطئهما النبي يوسف عليه السلام فيما أدركاه، بل أظهر لهما قدرة هي أعظم من ذلك، وأن التأويل الذي يملكه أوسع دائرة من تأويل الرؤى، فهو قادر على تأويل الأحداث، وفهم ما ستؤول إليه الأمور.

فتأويل الرؤيا إذن علم يمكن اعتماده في فهم حقائق الرؤى وتأويلاتها، والواقع الذي تحكي عنه، وما ستؤول إليه حالة من تعلقت به الرؤيا.

---

(١) سورة يوسف الآيات ٣٦ ـ ٤١.

وهذه الرؤى التي رآها الفتيان، حكت واقع حالها بالرموز التي يحتاج كشفها إلى فهم كل العلاقات التي تتعلق بالرؤيا وصاحبها، وما قاله النبي يوسف عليه السلام، هو ما حصل فيما بعد بالضبط. وقد كانت للقدرة التي ظهرت لديه عليه السلام في إظهار التأويل دخل في ما آل إليه أمره عليه السلام، فكأن رؤيا ذينك الرجلين سمحتا بإظهار بعض قدرات النبي يوسف عليه السلام، ليكون تعبيره الصحيح وسيلته لاحقاً لتسهيل أمر خروجه من السجن وتعزيزه وإكرامه، هكذا شاء الله تعالى.

ومنها: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾[١].

لقد رأى الملك رؤيا اقتضت منه جمع الملأ من حوله، وطلب تفسيرها، متحدياً لهم في قدراتهم على تعبير تلك الرؤيا، لكنهم لعجزهم لم يدركوا العلاقات ودلالات الرموز، وليس ذلك إلا لأن

---

(١) سورة يوسف، الآيات ٤٣ - ٤٩.

علم التأويل المرتبط بعلم تأويل الأحاديث مفقود، ولهذا اختاروا الجواب السهل: قالوا أضغاث أحلام. ثم قالوا بما يوحي بتسخيف فكرة تأويل الأحلام، ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾، فهم خرجوا عن قضية الأضغاث إلى قضية الأحلام ككل، أو أنهم أرادوا الاعتراف بالجهل إزاء الرؤيا التي رآها الملك. إلا أن الذي كان مع يوسف عليه السلام في سجنه، ونجا تذكر قدرة النبي يوسف عليه السلام على التأويل فكشف عن هذا الأمر، فكانت رؤيا عظيمة رآها الملك، كشفت عن أمر خطير سيحصل في المجتمع، وعن طريقة اقتصادية ينبغي اعتمادها حتى لا يتأثر المجتمع بذلك الأمر الخطير الذي سيصيبه.

ففي المنامات أسرار، ومنقذات من أخطار كبيرة، لا يعرفها إلا من آتاه الله علمها. وليس تعبير الأحلام بالعلم الذي يمكن أن يتم اكتسابه في مدرسة أو كتاب، كما يفعل بعض البسطاء إذ يأتون إلى كتب التعبير والتفسير، يعتمدون عليها لتفسير ما يرونه من منامات. فإن الذين تقرأ كتبهم، والذين تحكى عنهم تعبيراتهم للرؤى لم يعتمدوا على كتب سابقة، ولا قرؤوا ذلك في آيات أو روايات، وإنما هي التجربة التي دلت على امتلاكهم لهذه المعرفة الإلهامية، التي تكشف عن المداليل من دون أن يكون هناك خضوع دائم إلى علاقة منطقية عقلية بين الرموز والدلالات، وبين الرؤى والتعبيرات. فتأويل الرؤى هو هبة من الله تعالى لبعض عباده، ولهذا جعله الله تعالى ميزة أكرم بها نبيه يوسف عليه السلام، كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ

مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾(١).

أما وصف الملأ تلك الرؤيا بأنها من أضغاث الأحلام، فلم يظهر في الآيات الكريمة تعقيب يؤكد أو ينفي مسألة أضغاث الأحلام، وقد يكون هذا بنفسه نحو تأييد لوجودها. والأحلام جمع حلم بضمتين وقد يسكن وسطه هو ما يراه النائم في منامه. قال العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان: «وكأن الأصل في معناه ما يتصور للإنسان من داخل نفسه من غير توصله إليه بالحس، ومنه تسمية العقل حلماً لأنه استقامة التفكر، ومنه أيضاً الحلم لزمان البلوغ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَالُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾(٢) أي زمان البلوغ بلوغ العقل، ومنه الحلم بكسر الحاء بمعنى الأناة ضد الطيش، وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وعدم المعاجلة في العقوبة، فإنه إنما يكون عن استقامة التفكر»(٣). وأما الضغث فعن الراغب الأصفهاني أن الضغث قبضة ريحان أو حشيش أو قضبان، وجمعه أضغاث. قال تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾(٤)، وبه شبه الأحلام المختلفة التي لا تتبين حقائقها، قالوا: أضغاث أحلام، حزم أخلاط من الأحلام(٥).

الموقع الثاني: في قصة النبي إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى في سورة الصافات: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ

---

(١) سورة يوسف الآية ٢١.
(٢) سورة النور الآية ٥٩.
(٣) تفسير الميزان، ج ١١ ص ١٨٧.
(٤) سورة ص الآية ٤٤.
(٥) مفردات الراغب الأصفهاني ص ٢٩٧.

إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[١].

لقد كاد النبي إبراهيم عليه السلام أن يقدم على أمر خطير لمنام رآه، وهو أن يذبح ابنه، وقد كان ابنه مطيعاً له في ذلك، لم يشكك لا فيما رآه أبوه عليه السلام، ولا في حجية رؤيا أبيه عليه السلام، ولا تردد في الطاعة، في مشهد من أخطر المشاهد التي يبتلي فيها أب مؤمن، وهو ذبح ابنه بيده قربة لله تعالى، ويبتلي فيها ابن بالصبر على فعل أبيه بهذا المستوى من الخطورة، قربة لله تعالى. إلا أن القضية هنا ليست مجرد منام، بل هو كما فهمه النبي إسماعيل عليه السلام: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾، أمر إلهي بالإقدام على ذلك، علماً أن النبي عليه السلام لم يسمع في المنام أمراً بذلك، بل كانت مجرد رؤية نفسه في المنام أنه يفعل كذا أمراً، فالمنام هنا وسيلة من وسائل الوحي والإلهام الرباني، ولن يكون ذلك إلا للنبي إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء والمعصومين عليهم السلام، لأنهم لا يرون أضغاثاً، ويفهمون بوضوح المقصد منها، ولأنها إحدى وسائل التواصل بين الله تعالى ورسله، وأنبيائه ومن يلهمهم من عباده.

لقد شق على البعض أن يكون هذا الأمر الإلهي واقعاً في المنام، لما ارتكز في ذهنه أن الشريعة لا تؤخذ في المنام، وما ارتكز في ذهنه حق، لكن ما شق عليه خطأ. فلئن كانت الشريعة لا تؤخذ من المنامات بالنسبة إلينا نحن الناس أتباع الأنبياء والأوصياء، فهذا لا

---

(١) سورة الصافات الآية ١٠٢.

يعني أن الله تعالى لا يرسل وحيه وإلهامه إلى أنبيائه عبر المنامات، فإن منامهم كاليقظة، لا يرون شيئاً من أضغاث الأحلام، ولا يدخل الشيطان إلى معارفهم في يقظة أو منام.

والنصوص الدالة على ذلك كثيرة، نكتفي بذكر بعض النماذج منها:

منها ما في أصول الكافي عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ما الرسول وما النبي؟ قال: النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك[١]. والرواية صحيحة.

ومنها ما رواه في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن محبوب عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول والنبي والمحدث؟ قال: الرسول الذي يأتيه جبرائيل قبلاً فيراه، ويكلمه فهذا الرسول. وأما النبي فهو الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله صلى الله عليه وآله من أسباب النبوة قبل الوحي حتى أتاه جبرائيل عليه السلام من عند الله بالرسالة، وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يخبر بها جبرائيل عليه السلام ويكلمه بها قبلاً. ومن الأنبياء من جمع له النبوة ويرى في منامه ويأتيه الروح ويكلمه ويحدثه من غير أن

(١) أصول الكافي للكليني ج ١ ص ١٧٦.

يكون يرى في اليقظة. وأما المحدث فهو الذي يحدث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه[١]. والرواية صحيحة السند.

ومنها ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن الرضا عن علي عليه السلام، قال: رؤيا الأنبياء وحي[٢].

وممن شق عليه ذلك الشيخ الطبرسي، إذ قال في تفسيره: «والأولى أن يكون الله تعالى قد أوحى إليه في حال اليقظة، وتعبده بأن يمضي ما يأمره به في حال نومه، من حيث إن منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة. ولو لم يأمره بذلك في حال اليقظة، لما كان يجوز أن يعمل على ما يراه في المنام. وقال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: منامات الأنبياء وحي. وقال قتادة: رؤيا الأنبياء حق، إذا رأوا شيئاً فعلوه..»[٣].

لقد بنى الشيخ الطبرسي على أنه لا يجوز العمل بالمنامات حتى وإن كانت صحيحة، لهذا احتاج الأمر منه إلى تقدير أن أمراً سابقاً صدر حال اليقظة، ولم يكن دور المنام إلا التعبد بالمضي بما يأمره به، ليكون دوره محض التأكيد والتذكير، لا التأسيس وإنشاء أمر. مع أنه لا داعي لافتراض أن الأمر كان قد صدر حال اليقظة، فلم لا يكون حكم الأنبياء في ذلك يختلف عن حكم غيرهم، ولم لا تكون منامات الأنبياء وحياً، وتكون هذه الآية أحد الأدلة على ذلك. لذا لم يكن فيما رآه النبي إبراهيم عليه السلام أي رمزية بل رأى الفعل كما هو. ولو كانت القضية مرتبطة بأمر في اليقظة، وكان الأمر في المنام بلا

(١) المصدر السابق.
(٢) أمالي الشيخ الطوسي، ص٣٣٨.
(٣) تفسير مجمع البيان ـ الشيخ الطبرسي ج ٨ ص ٣٢١.

أثر شرعي للأنبياء، لكان من الطبيعي أن يبين في الآية حتى لا تفهم الأمور خطأ، خاصة مع ذكر الرؤيا دون ذكر أمر اليقظة، ومحورية الأمر الوارد في الرؤيا في قيام النبي إبراهيم عليه السلام بالتوجه نحو ذبح ولده، وقبول ولده بذلك. فهل أريد لنا أن نستنتج من تلقاء أنفسنا تقدير أمر في اليقظة، والحال هي ما أشرنا إليه.

ويدل على أنه لا أمر آخر غير ما جاء في الرؤيا، أن النبي لم يمدح لاستجابته للأمر الذي رآه في اليقظة، بل لاستجابته لما رآه في المنام، وانقياده له، فقال تعالى: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾[1]، فلو كانت المسألة أن أمراً سابقاً صدر حال اليقظة فلن يبقى موضوع لهذا المدح.

الموقع الثالث: مع النبي محمد صلى الله عليه وآله:

وقد ورد ذلك في عدة مواضع:

منها: قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾[2]، أي والشجرة الملعونة فتنة للناس أيضاً.

لم تذكر الآية ما هي الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وآله، والتي كانت فتنة للناس، ولا يوجد تفسير مباشر لها في القرآن الكريم، كما لم يفسر القرآن الشجرة الملعونة بشكل مباشر، مع ما يلوح في الآية من

---

(١) سورة الصافات الآيتان ١٠٤ و١٠٥.

(٢) سورة الإسراء الآية ٦٠.

نحو ترابط بين الرؤيا والشجرة، فاختلف المفسرون في تحديد الرؤيا، وفي تفسير الشجرة.

أما الرؤيا ففيها أقوال:

أحدها: أن المراد بالرؤيا، رؤية العين، وهي ما جاء في أول السورة في إسراء النبي ﷺ، من مكة إلى بيت المقدس، وإلى السماوات، في ليلة واحدة، إلا أنه لما رأى ذلك ليلاً، وأخبر بها حين أصبح، سماها رؤيا. وسماها فتنة، لأنه أراد بالفتنة الامتحان، وشدة التكليف، ليعرض المصدق بذلك لجزيل ثوابه، والمكذب لأليم عقابه، وهذا قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، ومجاهد.

الثاني: أنها رؤيا نوم، وهي رؤياه أنه سيدخل مكة. وحكي هذا القول عن ابن عباس في رواية أخرى مخالفة للرواية التي نقلت عنه ذهابه إلى القول الأول. وكانت فتنة لأنه عندما صده المشركون في الحديبية شك قوم ودخلت عليهم الشبهة، فقالوا يا رسول الله: أوليس قد أخبرتنا أنا ندخل المسجد؟ فقال: قلت لكم إنكم تدخلونها السنة؟!. فقالوا: لا، فقال سندخلنها إن شاء الله، فكان ذلك فتنة وامتحاناً.

الثالث: أنها رؤيا لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وهي ذات علاقة بالخلافة والإمامة، فعن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أنه ﷺ رأى في منامه أن قروداً تصعد منبره وتنزل، فساءه ذلك[1]. وروى

(١) راجع تفسير نور الثقلين للحويزي، ج ٣ ص ١٨٠ فما بعدها.

مثل ذلك سهل بن سعد الساعدي عن أبيه أن رسول الله ﷺ رأى ذلك، ومثله عن سعد بن بشار، فأنزل الله عليه جبرائيل وأخبره ما يكون من تغلب أمر بني أمية على مقامه وصعودهم منبره[١].

أما الشجرة الملعونة في القرآن، فقيل هي شجرة الزقوم، قيل وكونها ملعونة بمعنى ملعون آكلها. حكي هذا القول عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وآخرين. وكانت الفتنة فيها قول بعض المشركين مثل أبي جهل وغيره، أن النار تأكل الشجر فكيف تكون في جهنم شجرة.

وعن الإمام الباقر عليه السلام أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية.

وعن البلخي أنه قد يكون المراد بها الكفار.

وقيل الشجرة الملعونة اليهود[٢].

وتفسير الشجرة الملعونة بأنها الملعون أكلها تفسير مجازي لا يصار إليه مع عدم القرينة عليه. مع أن الآية صريحة بأن الشجرة لعنت في القرآن، وشجرة الزقوم لم تلعن في القرآن، وبالتالي لا يصح هذا التفسير، وهو ما اختاره العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان. الذي قال بعد ذلك ما خلاصته:

إن الرؤيا والشجرة مرتبطين بالحياة الدنيا، وإنهما فتنة للناس في الدنيا، وشجرة الزقوم فتنة لكنها لم تلعن في القرآن، كما أن المراد

---

(١) راجع هذه الأقوال في التبيان للشيخ الطوسي ج ٦ ص ٤٩٤، وتفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج ٦ ص ٢٦٦.

(٢) راجع هذه الأقوال في التبيان ـ الشيخ الطوسي ج ٦ ص ٤٩٤، وتفسير مجمع البيان ـ الشيخ الطبرسي ج ٦ ص ٢٦٥.

بالفتنة هنا ما يعم الناس، فيشيع بهما فيهم الفساد، وهو ما يؤشر إليه ذيل الآية: ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾، كما يؤيده صدر الآية ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾، والذي لعن في القرآن إبليس، واليهود، والمشركون، والمنافقون، وأناس يموتون وهم كفار، والذين يكتمون ما أنزل الله، والذين يؤذون الله ورسوله، وغير ذلك من الأوصاف. وفي مقام التطبيق يلحظ أن الشجرة تستعمل عرفاً في الأصل الذي تنشأ منه فروع بالنسب أو الاتباع، فضلاً عن معناها الأصلي أي ذات الساق من النبات. لكن هذا المعنى الأصلي غير مقصود هنا، فالمراد ما كان له فروع بالنسب والاتباع. ومن هنا قال في لسان العرب: ويقال: فلان من شجرة مباركة أي من أصل مبارك. كما ورد عن لسانه صلى الله عليه وآله قوله: «أنا وعلي من شجرة واحدة». فالشجرة الملعونة قوم من هؤلاء الملعونين في كلامه لهم صفة الشجرة في النشوء والنمو وتفرع الفروع، ولا يصلح لهذه الصفة إلا طوائف ثلاث من المعدودين، وهم أهل الكتاب والمشركون والمنافقون. ولبثهم في الناس وبقاؤهم على الولاء إما بالتناسل والتوالد كأهل بيت من الطوائف المذكورة يعيشون بين الناس ويفسدون على الناس دينهم ودنياهم ويفتتن بهم الناس، وإما بطلوع عقيدة فاسدة ثم اتباعها على الولاء من خلف بعد سلف. وأما المشركون وأهل الكتاب فقد أمن الناس من شرهم في زمن الرسول صلى الله عليه وآله، وقد نص على ذلك القرآن الكريم بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾[1]. فلم يبق إلا أن يكون

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

المقصود بالشجرة الملعونة قوماً من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، يتعرقون بين المسلمين إما بالنسل وإما بالعقيدة والمسلك هم فتنة للناس. والآية واضحة في الارتباط بين الرؤيا والشجرة، خاصة بعد ملاحظة صدر الآية وذيلها، مما يدل على أن الآية بصدد الإشارة إلى شيء واحد، لا ينفع فيه عظة وتخويف، ويستفاد من ذلك أن الشجرة الملعونة هي ما رآه النبي ﷺ في رؤياه. وعلى هذا التفسير تصير الروايات المفسرة للآية أوضح، مثل ما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بأن المراد بالرؤيا في الآية رؤيا رآها النبي ﷺ في بني أمية، والشجرة شجرتهم. أما تفسير الرؤيا بالإسراء فهو غير صحيح، لأن الإسراء كان في حال يقظة لا رؤيا في المنام. أما تفسير الرؤيا بما رآه النبي ﷺ من فتح مكة فغير صحيح، لأن تلك الرؤيا حصلت بعد الهجرة، والآية التي نتحدث عنها مكية[١].

ومن الروايات الواردة عن الأئمة عليهم السلام في تفسير هذه الآية، عدة روايات رواها العياشي في تفسيره عن الإمام الباقر عليه السلام: أن الشجرة الملعونة هي بني أمية[٢].

ومن الروايات الواردة في كتب أهل السنة المؤيدة للتفسير الذي ذكره العلامة، ما رووه عن سعيد بن المسيب[٣]، وما رواه في الدر المنثور عن ابن عمر من أنها الحكم وولده[٤]، ومثله في المصدر

---

(١) وللعلامة الطباطبائي في تفسيره كلام طويل، اكتفينا بالمقدار الذي أوجزناه، فمن شاء التفصيل فليراجع تفسير الميزان ج ٣١ ص ١٣٦.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩٨.
(٣) زاد المسير لابن الجوزي ج ٥ ص ٤١.
(٤) الدر المنثور، للسيوطي، ج ٤ ص ١٩١.

المذكور عن عائشة. وفي المصدر نفسه عن يعلى بن مرة عن رسول الله ﷺ أنهم بنو أمية. ويبدو أن ذلك كان واضحاً في أول عصر العباسيين، إذ نقل ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة خطبة للسفاح في الجمعة الثانية بالكوفة فقال:

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود، والله لا أعدكم شيئاً ولا أتوعدكم إلا وفيت بالوعد والوعيد، ولأعملن اللين حتى لا تنفع إلا الشدة، ولأغمدن السيف إلا في إقامة حد، أو بلوغ حق، ولأعطينكم حتى أرى العطية ضياعاً. إن أهل بيت اللعنة والشجرة الملعونة في القرآن، كانوا لكم أعداء لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها، ولا يلي عليكم منهم والٍ إلا تمنيتم من كان قبله..[١].

ومنها: قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[٢].

وقد كانت تلك الرؤيا متعلقة بالفتح. ولقد وُعد ﷺ به حين توجه إلى مكة حاجّاً، لكنه صُد عنه، وعقد صلح الحديبية، وفي ذلك التاريخ نزلت تلك الآية مصدقة للرؤيا، معتبرة أن الصلح هو مفتاح تصديق تلك الرؤيا، ودخول المسجد الحرام. ولقد وصف الله تعالى الصلح بالفتح في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، أو هو وعد آخر على سبيل البت، وأن الصلح مسبب له. وعلى كل حال فقد

(١) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ج ٧ ص ١٥٦.
(٢) سورة الفتح الآية ٢٧.

نزلت تلك الآية تأكيداً لصدق تلك الرؤيا. وجعل الله تعالى من دون ذلك فتحاً قريباً، هو فتح خيبر.

ومنها: ما ذكر من رؤى رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾. والرؤية في المنام هنا ليست رؤية مخالفة للواقع، لأنه ليس المقصود هنا رؤية العدد، بل المقصود رؤيتهم على ما هم عليه من قوة مهما كان عددهم، وقد كانوا في المحصل العام قلة ضعفاء وإن كانوا بحسب العدد أكثر من المسلمين، لكن لضعفهم كانوا قلة. فهنا التأويل بلحاظ المحصلة والقوة لا بلحاظ العدد. ومع ذلك كان لرؤية قلتهم الأثر البالغ في النصر، وعدم وهن المسلمين وفرار الناس عن الرسول ﷺ، واختلافهم في القتال معه ﷺ. وليس صحيحاً تفسير المنام هنا بالعينين باعتبار أن بهما يكون النوم، لأنه يوجب تلبيس المعنى وضياعه مع عدم الموجب لهذا المجاز هنا.

وقد جاءت هذه الرؤية، وهي من المبشرات، كمصداق من مصاديق الآية التي تحققت في يوم بدر، المشار إليها في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا...﴾.

ومنها: قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[١]. وقد فسرت البشرى في كلمات المفسرين، وفي الروايات بأنها الرؤيا الحسنة يراها المؤمن. ففي الكافي بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: في قول الله عز

---

(١) سورة يونس الآية ٦٤.

وجل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشر بها في دنياه[١].

وعن تفسير البلخي بإسناده عن عبادة بن الصامت قال سألت رسول الله ﷺ عن قوله: لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له[٢].

وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده عن رسول الله ﷺ أنه قال: لهم البشرى فيّ الحياة الدنيا، قال: الرؤيا الصالحة يبشرها المؤمن هي جزء من تسعة وأربعين جزءًا من النبوة، فمن رأى ذلك فليخبر بها ومن رأى سوى ذلك فإنما هو من الشيطان ليحزنه فلينفث[٣].

وعلى كل حال فإن الرؤى قد تحدث عنها القرآن الكريم باعتباره وحياً ينزل على الأنبياء، وتعبيراً رمزياً أو مباشراً عن حقائق ووقائع.

(١) الكافي ـ الشيخ الكليني ج ٨ ص ٩٠.
(٢) سعد السعود ـ السيد ابن طاووس الحسني ص ١٩٧.
(٣) مسند أحمد ـ الإمام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٢١٩.

البحث الثاني:

حقيقة المنامات، وأقوال العلماء فيها وفي اعتبارها

تمهيد:

اختلفوا في حقيقة المنامات، ولهم فيها أقوال، إلا أن المتسالم عليه، أن المنامات على قسمين: قسم له حقيقة يعد من المنامات الصادقة، وله تأويل قد يكون عبارة عن كشف عن أمر سيجري تحذيراً أو تبشيراً. وقسم يعد من الأضغاث التي لا قيمة لها، ولا تأويل، وهو من المنامات الكاذبة. وهذه حقيقة لا ينكرها أي عالم أو جاهل، فالناس في حياتهم يلمسون بالوجدان هذا التقسيم، وهو من المسلمات الإنسانية التي لا حاجة لإتعاب النفس في بيانها. والذي يحتاج إلى تفسير هو مناط الفرق بين القسمين، وكيف نميز بينهما. ولهذا الغرض أردنا أن نعقد هذا البحث، وملاحظة آراء العلماء، قبل أن نستنطق الروايات التي ربما تكون هي المصدر الوحيد الممكن في هذه القضية، ولا نظن أن بإمكان العلوم الإنسانية أن تفسر هذه القضية بمعزل عن الدين الذي تعد رواياتنا ناطقة به. وبالإضافة إلى بيان

الفرق نحن بحاجة إلى بيان مدى اعتبار الرؤيا في عالم الأدلة والبراهين، وفي الآثار الشرعية. وهو أيضاً ما سننقل فيه آراء العلماء، على أن ندلي بدلونا بذلك بعد استعراض الروايات.

في مناط الفرق بين قسمي المنامات، بحسب أقوال العلماء:

وعند التتبع في كلمات العلماء هنا نجد أنهم جعلوا الفرق في أحد أمرين، على سبيل منع الخلو، وقد يجمع بينهما عالم من العلماء، وهما: الفرق من حيث صورة المنام ووضوحه، والفرق من حيث منشؤه ومصدره. والفرق الأول إن صح يشكل علامة يمكن اعتمادها للتمييز بين المنامات الصادقة والكاذبة، إلا أنه لا يدل على حقيقة المنام. وأما الفرق الثاني، فهو ألصق ببيان حقيقة المنام، لكنه لن يكون نافعاً للتمييز عملياً بين منام صادق وآخر كاذب. ومن هذا القبيل كلام الشيخ الطوسي في تفسيره «أن الرؤيا التي لها حقيقة هي التي تكون من الله تعالى، وهي من الإلهام في المنام يتصور به الشيء كأنه يرى في اليقظة. أما التي تكون من الأضغاث فهي التي تكون من وساوس الشيطان، أو من غلبة الأخلاط، أو من الأفكار والتوهمات»[1]. فهذا الكلام لن يخرج عن إطار التنظير غير القابل للتشخيص إلا للنادر من الناس، فكيف لنا أن نعلم أن المنام الفلاني هو إلهام، والمنام الفلاني من الأوهام أو غلبة الأخلاط. ونلاحظ أن الشيخ الطوسي قد جعل المنام الصادق قسماً واحداً، إلهام يتصور به الشيء كأنه يرى في اليقظة،

(١) التبيان ـ الشيخ الطوسي ج ٥ ص ١٢٨.

وجعل الأضغاث ثلاثة أقسام، واحد من الوساوس، وآخر من غلبة الأخلاط، وثالث من الأفكار والتوهمات.

وقال البيضاوي في تفسيره: إن حقيقة الرؤيا «هي انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة إلى الحس المشترك»[١]. وهذا التفسير عنده شامل للرؤيا التي لها تأويل، والرؤيا التي لا تأويل لها، «وإنما الفرق بينهما أن الأولى أي الرؤيا الصادقة تكون باتصال النفس بالملكوت، فتتلقاه المتخيلة بصورة تحاكيه تناسبه فترسله إلى الحس المشترك فتصير مشاهدة، ويختلف وضوح الصورة باختلاف التناسب بين النفس والملكوت، فإن كانت شديدة التناسب استغنت الرؤيا عن التعبير، وإلا احتاجت إليه. وأما الأضغاث فهي التي تكون مختلطة مضطربة لشدة التشويش الذي وقع لدى المتخيلة في الترتيب والتأليف. وقد أدرج في الأضغاث «ما يعيي المعبر عن التأويل»[٢]. وهو ما يعني أن من الأضغاث ما قد يكون عن اتصال بالملكوت لكن لشدة الاضطراب دخلت فيه.

ثم أخذ في بيان طبيعة هذا الاتصال وشرحه فقال: «واعلم أنه سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود إلى عالم الأفلاك ومطالعة اللوح المحفوظ، والمانع لها من ذلك هو اشتغالها بتدبير البدن وما يرد عليها من طريق الحواس، وفي وقت النوم تقل تلك الشواغل فتقوى النفس على تلك المطالعة، فإذا وقفت النفس على حالة من تلك الأحوال فإن بقيت في الخيال كما شوهدت لم

(١) تفسير البيضاوي، ج٣، ص٢٧٤.
(٢) المصدر السابق، بتصرف.

تحتج إلى التأويل، وإن نزلت آثار مخصوصة مناسبة للإدراك الروحاني إلى عالم الخيال فهناك يفتقر إلى المعبر»[١].

فالبيضاوي في هذا الكلام يذكر حقيقتين: الأولى: أن حقيقة المنام الصادق تختلف عن حقيقة المنام الكاذب، فالأول يكون باتصال النفس بالملكوت على أن تكون الصورة واضحة شديدة التناسب، بينما الأضغاث ما يكون من مخترعات النفس، أو ما يكون عن اتصال لكن اختلطت الصورة لدى المتخيلة في التأليف والترتيب فيعيي المعبر عن التأويل. الثانية: أن اتصال النفس بالملكوت يكون من خلال صعودها إلى عالم الأفلاك ومطالعة اللوح المحفوظ.

أما الأولى، فقد جمع في بيان حقيقة المنام الصادق بين أمرين، الاتصال والوضوح، بينما الأضغاث لا تكون واضحة على الإطلاق، وهذا يعني أن كل منام واضح ناشئ عن اتصال، وكل منام غير واضح من الأضغاث سواء كان بعد اتصال النفس بالملكوت أم لا. وهذا من اكتشاف منشأ الرؤيا من خلال صورتها. مع أن الوجدان يشهد بأن ما يكون من مخترعات النفس قد يكون واضح الصورة أيضاً كأنه يرى في اليقظة. أما وصفه بعض الرؤى بالأضغاث مع كونها قد تكون ناشئة عن اتصال بالملكوت، فربما استفاده مما ورد في سورة النبي يوسف عليه السلام حين عجز المعبرون في بلاط الملك عن تفسير رؤيا الملك، فوسموا تلك الرؤيا بالأضغاث حتى لا يطعنوا بأنفسهم وينسبوها إلى العجز. ولا ينبغي الموافقة على هذا علماً أن منام

---

(١) المصدر السابق، بتصرف. وقد نقله كما كتبناه عن تفسير البيضاوي العلامة المجلسي في البحار، ج٥٨، ص١٥٢.

الملك كان متسقاً لا اضطراب فيه، لكن الرموز ربما كانت بعيدة بعض الشيء عن معناها المباشر، وهذا يرتبط بثقافة صاحب المنام لأن متخيلته هي التي ستتلقى الصور وستغلفها برموزها، ويكون علم المعبر بثقافة صاحب الرؤيا مؤثراً في تفسيرها. فمن غير المنطقي أن ندرج في الأضغاث ما كان له تعبير صحيح، لمجرد أنّا لم نتمكن من تعبيره.

أما تفسيره الاتصال من خلال صعود النفس إلى عالم الأفلاك، فلا شك أن المراد به صعودها حال النوم، وهذا قول شائع، ولئن ناقشناه في عالم الأفلاك، فليس ذلك بضائر في مبدأ الفكرة عنده، لأنك لا بد وأن تقر بوجود عالم هو عالم التقدير، والذي سماه باللوح المحفوظ. ونحن ننكر ما يسمى بعالم الأفلاك، لكن الفكرة على حالها. وهي فكرة لا بأس بها، لكنها بحاجة إلى دليل.

ومن هنا عليك التمييز في مناقشة ما ذكره البيضاوي وغيره، وجملة من الفلاسفة بين فكرة عالم الأفلاك وفكرة صعود النفس حال النوم واتصالها بعالم اللوح المحفوظ أو عالم التقدير، مهما كان اسمه عندك. فإذا أردت أن تناقش فكرة الصعود فعليك أن تعزلها عن فكرة عالم الأفلاك، وهذه المصطلحات المتعارف عليها عند الفلاسفة السابقين، أو بعض أهل العلم، وعليك أن تدعي أن الصور تأتي إلى النفس وهي في مكانها، أي اتصال عالم الملكوت بالنفس، وإشراقه عليها، بدل أن تشرف هي عليه. وعلى كلا التقديرين لا بد أن نكون مقرين بعالم الملكوت، أو عالم اللوح المحفوظ، أو عالم الأمر الذي هو المخزن لعالم الخلق، وهي أمور يقر بها كل مؤمن بالأديان السماوية عموماً، والقرآن الكريم خصوصاً، وسيكون الأمر مبهماً

جداً، ومحتاجاً إلى تفسير من نوع آخر لمن لم يؤمن بالأديان، ويريد، انطلاقاً من معطيات مادية، أن يحلل المنامات الصادقة التي ليس بمقدوره إنكارها. ولست أدري إن كانوا سيجدون تفسيراً منطقياً مادياً لتلك المنامات، وعلى كل حال فإن كلامنا في المنامات انطلاقاً من الدين، لا من خارجه، لهذا لن نشغل أنفسنا بالبحث عن المنامات من منظور هؤلاء.

وعلى كل حال فمن كلام الشيخ الطوسي والبيضاوي تظهر لنا نظريتان، الأولى أن المنامات الصادقة إلهام، وهو يعني بحسب ظاهره إشراق علوي على النفس. والثانية أنها عن اتصال النفس بالملكوت وصعودها لتتصل به. وربما يلتقي الكلامان في محل واحد بأن يكون هذا الصعود هو محقق الإلهام.

وفي الكلمات التي سبق ونقلناها إشارة إلى أن النفس عند اتصالها بالملكوت، أو تلقيها للإلهام، تعتمد في تصور ما أخذته وفقاً لما تمتلكه المتخيلة من صور، فتتصوره بالصورة التي تعبر عنه، وهو ما يحتاج أيضاً إلى شيء من التفصيل. وربما يلوح بعض الفرق بينهما، فالإلهام ربما كان في نفس الصور أيضاً، أي إن الله تعالى يلقي في نفس الرائي الرموز، لا أنه يلقي إليه المعاني والنفس هي تتصورها برموزها وصورها المناسبة لها. بينما على كلام البيضاوي تكون النفس هي التي تخلق الصور بعد أن تتلقى المعاني.

لقد ذكرنا كلام العالمين ليكونا كالمقدمة ليتضح لنا ما نحتاجه لفهم حقيقة المنامات الصادقة، فهل هي إلهام، أم صعود النفس

واتصالها بالملكوت، وهل الصور تأتيها أم تؤلفها النفس وفقاً لمخزونها في المتخيلة؟

ولقد أطنب العلامة المجلسي في البحار[1] في نقل كلمات العلماء، والحكماء، والمتكلمين، فنقل عن الحكماء ما يقرب مما تقدم عن البيضاوي، وخلاصته، أن النفس قد تتصل حال النوم بمبادئ عالية يسمونها تارة بالنفوس الفلكية، وأخرى بالعقول المجردة، فتحصل للنفس بعض العلوم الحقة وبعض العلم بالغيب، وهذه هي الرؤيا الصادقة. فالنفس الإنسانية لها نحو تعلق بالمبادئ العالية التي انتقش فيها جميع ما كان وما سيكون وما هو كائن في الحال، ولها أن تتصل بها حال النوم اتصالاً روحانياً، فالنفس في حال النوم تكون أقل اشتغالاً بأفعالها وبدنها ودنياها، وهو ما يشكل عائقاً أمام النفس عن أن تنطبع فيها المعاني الموجودة في المبادئ، فحال النوم تقل العوائق فينتقش بالنفس بعض ما في تلك المبادئ، كالمرايا. والذي تفعله النفس أنها بمخيلتها تحاكي تلك المعاني المنتقشة بصور جزئية تناسبها. فإن كانت تلك الصور شديدة المناسبة للمعاني استغنت عن التعبير، وإن كانت تحمل نحواً من أنحاء المناسبة احتاجت إليه، وإن كانت الصورة لا تناسب المعنى الذي أدركته النفس كانت الرؤيا من الأضغاث، ولهذا قالوا: لا اعتماد على رؤيا الشاعر والكاذب، لأن قوتهما المتخيلة قد تعودت الانتقالات الكاذبة الباطلة.

ولم يأخذ العلامة المجلسي على هذا الكلام سوى أنه رجم

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٥٨ صفحة ١٩٥.

بالغيب لجهة إثبات العقول المجردة والنفوس الفلكية، وهما مما نفته الشريعة في اعتقاده. ولقد نبّهنا على أن هذه المناقشة مع هؤلاء لا دخل لها بأصل الكلام، فإنك لو أنكرت العقول المجردة والنفوس الفلكية أو الكلية، كان لك أن تعبر عنه بعالم الملكوت مثلاً، أو العالم الذي تتصل به الروح أو النفس، فإذا أخطؤوا في تشخيص ذلك العالم فليس ذلك بضائرهم في أصل ما ذكروه.

وعلى كل حال فالحكماء الذين نقل المجلسي كلامهم، يرون أن الرؤيا تحصل بهذا الاتصال، والنفس تؤلف الصور المناسبة للمعاني التي أدركتها حال الاتصال، فتكون الرؤيا من الأضغاث إن كانت الصور لا تتناسب والمعنى المدرك. طبعاً هم لا ينكرون أن من الأضغاث أيضاً ما يكون من كثرة الأخلاط، أو أوهام الأفكار. وأما أن النفس تؤلف الصور فلأن تلك الصور لم تأت من الخارج وإلا لرآها كل من كان سليم الحس، كما حكى الرازي عن الحكماء، وكان كلامه أكثر تفصيلاً من غيره.

وقد نقل الرازي عنهم، على ما حكاه عنه المجلسي، تفرقتهم بين الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة، مع أنهما تشتركان في أن الصور من مخترعات المتخيلة، في أن الرؤيا الكاذبة تكون لعدم تحقق ذلك الاتصال، فالنفس إذا أحست بشيء حال اليقظة وبقيت صورة ذلك المحسوس في خزانة الخيال، فعند النوم ترتسم تلك الصورة في الحس المشترك فتصير مشاهدة محسوسة. وهكذا لو أن القوة المفكرة ألفت صورة ارتسمت تلك الصورة في الخيال فيراها الإنسان حال النوم. وقد تأتي الصور نتيجة تغير المزاج، فمن كان مزاجه مائلاً إلى

الحرارة قد يرى نيراناً، ومن مال إلى البرودة يرى الثلوج وهكذا. فهذه أنواع ثلاثة للرؤيا الكاذبة. أما الرؤيا الصادقة فهي نتيجة اتصال النفس بالعالم العلوي بعد الإقرار بأن كل ما هو كائن موجود في علم الله تعالى والملائكة، وأن النفس قد تتصل بذلك العالم. ثم ساق ما تقدم تلخيصه عن الحكماء، مع إضافة أن النفس تأخذ من ذلك العالم ما هو أقرب إلى طبع النفس، فمن كان منجذب الهمة إلى تحصيل علوم المعقولات لاحت له منها أشياء، ومن كانت همته مصالح الناس رآها، وهكذا. وكما عدّ الرازي الرؤيا الكاذبة من الأضغاث، عد أيضاً أحد أقسام الرؤيا الصادقة منه، مثلما فعل البيضاوي، وهو ما لا يمكن تعبيره لاضطراب تركيبه وعدم ملاءمة الصورة للمعنى، لكنه حلّل ذلك بأن عدم انسجام الصورة مع المعنى، إما لدخول الخيال بأحد حالاته المذكورة في الرؤيا الكاذبة على الرؤيا الصادقة، أو لأجل أن القوة المتخيلة بعد أن أعطت الصورة للمعنى، تعود فتعطي صورة للصورة، ثم صورة لصورة الصورة، وهكذا فيحصل الاضطراب، فلا تخرج الصورة بشكل قابل للتعبير. ثم يضيف:

إن إخبار النفس بالغيب يأتي نتيجة لكون النفس الناطقة كاملة القوة، وافية في الوصول إلى الجوانب العالية والسافلة، وتكون في القوة بحيث لا يصير اشتغالها بتدبير البدن عائقاً لها عن الاتصال بالمبادئ المفارقة، ثم اتفق أيضاً أن كانت قوتها الفكرية قوية قادرة على انتزاع لوح الحس المشترك عن الحواس الظاهرة، فحينئذ لا يبعد أن يقع لمثل هذه النفس في حال اليقظة مثل ما يقع للنائمين من الاتصال بالمبادئ المفارقة، فحينئذ يرتسم عن بعض تلك المفارقات

صور تدل على وقائع هذا العالم في جوهر النفس الناطقة، ثم تركب صوراً مناسبة للمعنى، وكلما كان الخيال محكوماً للعقل، أو لقوة المعنى الحاضر كلما ضعفت المخيلة عن التصرف والابتعاد بصور أبعد عن المعنى.

وبعد أن ينسب الرازي هذا الكلام، وما تضمنه كلام البيضاوي أيضاً، إلى ابن سينا، يسجل ملاحظة تشبه ملاحظة المجلسي، فقال: «إن الذي حمل هؤلاء الفلاسفة على ذكر هذه العلل والأسباب إطباقهم على إنكار الملائكة وعلى إنكار الجن، وقد بيَّنا في كتاب الأرواح أنه ليس لهم شبهة ولا خيال يدل على نفي هذه الأشياء، وإذا كان أصل هذه الأقوال نفي الملائكة والجن.. كان هذا القول في غاية الفساد والبطلان». وقد عرفت أن بطلان العوالم التي يقول بها الفلاسفة لا تؤثر على أصل المطلب، كما تقدم بيانه.

ثم إن بعض المتكلمين أنكروا، على ما حكاه المجلسي في البحار، أي حقيقة للرؤيا في المنام باعتباره مضاداً للإدراك، فما يراه النائم ليس من الإدراكات في شيء، بل هو من قبيل الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة. وقد حل بعضهم هذا الإشكال، بأن الرؤيا إدراك حقيقة، إلا أن الجزء الذي يقوم به هذا الإدراك من أجزاء الإنسان، هو غير الجزء الذي يتحقق به نوم الإنسان، فلا يلزم اجتماع أي منافاة بين النوم والإدراك، ولا يلزم اجتماع الضدين. وقد حكي هذا الجواب عن أبي إسحاق الأسفراييني.

وعلى هذا يكون الإنسان في حال النوم ذا حالة أخرى تسمح له بالإدراك، فلا تتعطل كل الحواس حال النوم، ولا تغفو كل أجزائه.

إلا أن الذي يظهر من المعترضين، أن محل إنكارهم، على فرض صحة ما نسب إليهم، هو خصوص الرؤية البصرية الحقيقية، أو الإدراك الحسي للأمور، فهو الذي ينافي النوم، لا مبدأ وجود رؤى في المنامات تصدق أحياناً وتكذب أحياناً أخرى، فإن هذا المبدأ لا ينبغي التشكيك فيه من عاقل، سواء كان متديناً بدين الإسلام أم متديناً بغيره، أم لا دين له أصلاً، لأن ذلك ثابت بالوجدان، مشهود كأنه عيان، فضلاً عما لو كان المنكر من الإسلاميين، كما افترض في المنقول عنهم، وهم بعض المتكلمين.

وحكي عن بعض العرفاء والمتصوفة، ما يقرب من كلام الحكماء، مع اختلاف في بعض المصطلحات، وإبداء مزيد من التفصيل في نفس المبدأ الذي قاله الحكماء، وهو أن النفس إذا وجدت فرصة تفرغ فيها عن الشغل بالحواس، وكانت من النفوس عالية اعتادت على الصدق، أو مائلة إلى العالم الروحاني العقلي، متوجهة إلى الحق مطهرة عن النقائص، معرضة عن الشواغل البدنية، متصفة بالمحامد، وغير ذلك مما يوجب تنويرها وتقويتها وقدرتها على خرق عالم الحس، اتصلت بالجواهر الروحانية الشريفة التي فيها نقوش جميع الموجودات كلية وجزئية، والمسماة بالكتاب المبين، وأم الكتاب، فانتقشت بما فيها من صور الأشياء، لا سيما ما ناسب أغراضها ويكون مهماً لها، فإن النفس بمنزلة مرآة ينطبع فيها كل ما قابلها من مرآة أخرى عند ارتفاع الحجاب بينها، وهو اشتغال النفس بما تورده الحواس، فإذا ارتفع ظهر فيها من تلك المرائي ما يناسبها، فإن كانت الصور جزئية وبقيت في النفس بحفظ الحافظة إياها على

وجهها، ولم تتصرف فيه القوة المتخيلة الحاكية للأشياء بمثلها فتصدق هذه الرؤيا ولا تحتاج إلى التعبير، وإن كانت المتخيلة غالبة وإدراك النفس للصورة ضعيفاً صارت المتخيلة بطبعها إلى تبديل ما رأته النفس بمثال، كتبديل العلم باللبن، وتبديل العدو بالحية، وتبديل الملك بالبحر والجبل، إلى غير ذلك. وذلك لما دريت أن لكل معنى صورة في نشأة غير صورته في النشأة الأخرى، وأن النشآت متطابقة. وربما تبدل المتخيلة الأشياء المرئية في النوم بما يشابهها ويناسبها مناسبة ما أو ما يضادها، كحال من رأى أنه ولد له ابن فتولد له بنت، وبالعكس، وهذه الرؤيا تحتاج إلى مزيد تصرف في تعبيره فيحلل بالعكس، أي يرجع من الصور الخيالية الجزئية إلى المعاني النفسانية الكلية. وربما لم تكن انتقالات المتخيلة مضبوطة بنوع مخصوص فانشعبت وجوه التعبير، فصار مختلفاً بالأشخاص والأحوال والصناعات، وفصول السنة وصحة النائم ومرضه، وصاحب التعبير لا ينال إلا بضرب من الحدس، ويغلط فيه كثيراً للالتباس. وإن كانت النفس سفلية متعلقة بالدنيا، منهمكة في الشهوات، حريصة على المخالفات مستعملة للمتخيلة في التخيلات الفاسدة وغير ذلك مما يوجب الظلمة وازدياد الحجب، أو سوء مزاج الدماغ، فلا تتصل بالجواهر الروحانية بمجرد ذلك، فتفعل باختراعها بقوتها المتخيلة في مملكتها وعالمها الباطني صوراً وأشخاصاً جسمانية بعضها مطابقة لما يوجد في الخارج، وبعضها خرافات لا أصل لها في شيء من العوالم، بل هو من دعابات المتخيلة واضطراباتها التي لا تفتر عنها في أكثر الأحوال، ثم انتقلت منها وحاكتها بأمور أخرى في النوم، فبقيت مشغولة بمحاكاتها كما تبقى مشغولة بالحواس في اليقظة،

وخصوصاً إذا كانت ضعيفة منفعلة عن آثار القوى، وهي أضغاث الأحلام. ولمحاكاتها أسباب من أحوال البدن ومزاجه، فإن غلبت على مزاجه الصفراء حاكاها بالأشياء الصفر، وإن كان فيه الحرارة حاكاها بالنار والحمام الحار، وإن غلبت البرودة حاكاها بالثلج والشتاء ونظائرهما، وإن غلبت السوداء حاكاها بالأشياء السود والأمور الهائلة.

وإذا دققت في هذا الكلام المنقول عن العرفاء والمتصوفة وجدت أنه لا يختلف أبداً من حيث جوهر المعنى عما نقل عن الفلاسفة والحكماء، إلا من حيث إن هؤلاء تحدثوا عن اتصال النفس بالكتاب المبين، وأولئك تحدثوا عن الأفلاك أو العقول، وهذا كما بيّنا مراراً لا يغير من حقيقة المعنى شيئاً، إلا أنهم فصلوا في كيفية انشغال النفس بالبدن، وقلة هذا الانشغال. مع أن تخصيص المنامات الصادقة بذوي النفوس السامية التي تجردت عن الشهوات، واعتبار أن ما تراه النفوس المتعلقة بالشهوات دائماً من مخترعات المتخيلة، لم يأتها من وجود أعلى، ربما يكون منافياً للوجدان، لأن المنامات الصادقة لا تختص بالمؤمنين، أو ذوي الكمالات السامية، بل قد نراها في غيرهم، وقد لا يرى ذوو الكمالات السامية في المنام شيئاً.

وحكى المولى محمد صالح المازندراني آراء علماء السنة في المنام، فقال:

قال الشيخ محيي الدين ـ والظاهر أنه ابن عربي ـ: اختلف الناس في حقيقة الرؤيا، ولغير الإسلاميين فيها أقوال منكرة. وسبب خطئهم أن الرؤيا لا تعلم بالعقل، ولا يقوم عليها البرهان، وهم لا يصدقون بالسمع، فلذلك اضطربت أقوالهم. فمن ينتحل الطب منهم

ينسب جميع الرؤيات إلى الأخلاط. ولبعض أئمة الفلاسفة تخليط طويل في هذا، وكأنه يرى أن صور ما يجري في الأرض هو في العالم العلوي كالنقوش، وكأنه يدور بدوران الآخر فما جاء بعض النفوس انتقش فيها، وهذا تحكم لم يقع عليه برهان. وقال أهل السنة: الرؤيا اعتقاد يخلقه الله تعالى في قلب النائم كما يخلقه في قلب اليقظان، ويجعله علماً على أمر يخلقه في ثاني الحال أو على أمر خلقه، فإذا خلق في قلب النائم اعتقاد الطيران وليس بطائر فغايته أنه اعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه، وكم من في اليقظة يعتقد الشيء على خلاف ما هو عليه، ويجعل ذلك الاعتقاد علماً على غيره، كما يجعل الغيم علماً على نزول المطر بفعل الله سبحانه.

وقال القرطبي: قيل: إن لله تعالى ملكاً موكلاً بعرض الرؤيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صوراً محسوسة، فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون أمثلة لمعان معقولة غير محسوسة، وفي الحالين تكون مبشرة ومنذرة. وقيل الرؤيا إدراك أمثلة منضبطة. وأورد عليه بأنه لا يصح تفسير الرؤية بالإدراك، لأن النوم ضد عام للإدراك، كما أن الموت ضد عام له فلا يجامعه. وأجيب بأن الجزء المدرك من النائم لا يحله النوم، فلا يجتمع الإدراك مع النوم فالعين نائمة والقلب يقظان كما قال صلى الله عليه وآله: «تنام عيناي ولا ينام قلبي»[1].

وقال عياض: اتفق المتكلمون على أن النائم الذي استغرق النوم

(١) المجازات النبوية، للشريف الرضي، ص ١٧٥. وصحيح مسلم، ج ٢ ص ١٦٦.

جميع أجزاء قلبه لا يصح أن يعلم، لأن النوم آفة تضاد التمييز، واختلفوا في الاعتقادات والظنون والتخيلات، فقال قوم: إنها لا تصح منه أيضاً، ولا تصح منه الرؤيا، لأن الرؤيا ضرب أمثلة، ولا يصح ضربها للنائم، ومن لا تمييز له. وقال قوم: لا يمتنع أن يكون ظاناً أو متخيلاً، وإنما يمتنع أن يكون عالماً، وقد رجح الأول بأن الظنون والاعتقادات والتخيلات جنس واحد مضاد للعلم، فكما يضاده النظر في العلم، فكذلك يضاده أضداده، وأما الرؤيا التي يراها النائم فإنما يراها لأن النوم لم يستغرق الجزء الذي هو محل الإدراك من القلب، ولا يلزمهم ما لزم الآخر من أنه لو كان كذلك لكان مكلفاً، لأنهم لا يقولون إنه مميز حقيقة، وإنما يقولون: إن عنده بقية حياة وبعض تمييز.

وقال الآبي: قال بعض المعتزلة: الرؤيا هي رؤيا العينين، وقال بعضهم: هي رؤية بعينين يخلقهما الله تعالى في القلب وسماع بأذنين يخلقهما الله تعالى وقال أكثرهم: هي تخيلات لا حقيقة لها ولا تدل على شيء.

ثم يقول المازندراني بعد ذلك: هذا ما بلغني من أقوالهم، ولا يبعد أن يقال: إن جميع ما كان وما يكون وما هو كائن في اللوح المحفوظ. فإذا تعطلت الحواس بالنوم، وفرغت النفس عن الاشتغال بها يعرض عليها ملك الرؤيا ما كان فيه بقدر استعدادها، وما كان من هذا القبيل فهي الرؤيا الصادقة، ولذلك قد يخبر النائم بما وقع في العالم، وبما هو واقع، وبما يقع بعد، وتلك الرؤيا هي التي تعد جزءًا من أجزاء النبوة كما سيأتي. وقد تشتغل النفس بالصور والمعاني

التي في الحس المشترك والخيال، وتركبها على أنحاء مختلفة، وقد يكون ذلك التركيب مطابقاً لما في نفس الأمر، وقد لا يكون، وهذه قد تكون صادقة، وقد تكون كاذبة وأضغاث أحلام، وقد يعرض عليها الشيطان ويشوشه ويفزعه، وهذا من تسويله وتحذيره، كما سيجيء وفي بعض الروايات تعليم دعاء للفرار من ذلك المكروه، والله أعلم بحقائق الأمور[١].

وحكى أبو الفتح الكراجكي عن الشيخ المفيد، أنه قال: والرؤيا في المنام تكون من أربع جهات:

أحدها: حديث النفس بالشيء والفكر فيه حتى يحصل كالمنطبع في النفس، فيخيل إلى النائم ذلك بعينه، وأشكاله ونتائجه، وهذا معروف بالاعتبار.

الجهة الثانية: من الطبائع، وما يكون من قهر بعضها لبعض، فيضطرب له المزاج، ويتخيل لصاحبه ما يلائم ذلك الطبع الغالب من مأكول ومشروب، ومرئي وملبوس، ومبهج ومزعج. وقد نرى تأثير الطبع الغالب في اليقظة والشاهد، حتى أن من غلبت عليه الصفراء يصعب عليه الصعود إلى المكان العالي، يتخيل له من وقوعه منه ويناله من الهلع والزمع ما لا ينال غيره. ومن غلبت عليه السوداء يتخيل له أنه قد صعد في الهواء، وناجته الملائكة، ويظن صحة ذلك، حتى أنه ربما اعتقد في نفسه النبوة، وأن الوحي يأتيه من السماء، وما أشبه ذلك.

---

(١) شرح أصول الكافي ـ مولى محمد صالح المازندراني ج ١١ ص ٤٧٤.

والجهة الثالثة: ألطاف من الله عز وجل لبعض خلقه من تنبيه، وتيسير وإعذار وإنذر، فيلقي في روعه ما ينتج له تخيلات أمور تدعوه إلى الطاعة والشكر على النعمة، ومن تزجره عن المعصية وتخوفه الآخرة، ويحصل بها مصلحة وزيادة فائدة، وفكر يحدث له معرفة.

والجهة الرابعة: أسباب من الشيطان ووسوسته يفعلها للإنسان ويذكره أموراً تحزنه وأسباباً تغمه وتطمعه فيما لا يناله، أو يدعوه إلى ارتكاب محظور يكون فيه عطبه، أو تخيل شبهة في دينه يكون منها هلاكه، وذلك مختص بمن عدم التوفيق لعصيانه، وكثرة تفريطه طاعات الله سبحانه، ولن ينجو من باطل المنامات وأحلامها إلا الأنبياء والأئمة عليهم السلام، ومن رسخ في العلم من الصالحين.

قال: وقد كان شيخي رضي الله عنه قال لي: إن كل من كثر علمه واتسع فهمه قلت مناماته، فإن رأى مع ذلك مناماً، وكان جسمه من العوارض سليماً، فلا يكون منامه إلا حقاً. يريد بسلامة الجسم عدم الأمراض المهيجة للطباع، وغلبة بعضها على ما تقدم به البيان. والسكران أيضاً لا يصح له منام، وكذلك الممتلئ من الطعام لأنه كالسكران، ولذلك قيل إن المنامات قلّما تصح في ليالي شهر رمضان.

قال: فأما منامات الأنبياء صلوات الله عليهم فلا تكون إلا صادقة وهي وحي في الحقيقة، ومنامات الأئمة عليهم السلام جارية مجرى الوحي وإن لم تسم وحياً، ولا تكون قط إلا حقاً وصدقاً. وإذا صح منام المؤمن لأنه من قبل الله تعالى كما ذكرناه، وقد جاء في الحديث

عن رسول الله ﷺ أنه قال: رؤيا المؤمن جزء من سبعة وسبعين جزءًا من النبوة. وروي عن علي عليه السلام قال: رؤيا المؤمن تجري مجرى كلام تكلم به الرب عنده.

فأما وسوسة شياطين الجن فقد ورد السمع بذكرها قال الله تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾[1]، وقال: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾[2]. وما ورد السمع به فلا طريق إلى دفعه، فأما كيفية وسوسة الجني للإنسي فهو أن الجن أجسام رقاق لطاف، فيصح أن يتوصل أحدهم برقة جسمه ولطافته إلى غاية سمع الإنسان ونهايته، فيوقر فيه كلاماً يلبس عليه إذا سمعه ويشبه عليه بخواطره، لأنه لا يرد عليه ورود المحسوسات من ظاهر جوارحه، ويصح أن يفعل هذا بالنائم واليقظان جميعاً، وليس هو في العقل مستحيلاً. وروى جابر بن عبد الله[3] أنه قال: بينما رسول الله ﷺ يخطب، إذ قام إليه رجل، فقال: يا رسول الله، إني رأيت كأنّ رأسي قد قطع وهو يتدحرج، وأنا أتبعه. فقال رسول الله ﷺ: لا تحدث بلعب الشيطان بك، ثم قال: إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدثن به أحداً[4].

(١) سورة الأنعام الآية ١٢١.
(٢) سورة الأنعام الآية ١١٢.
(٣) كنز العمال، المتقي الهندي، ج ١٥ ص ٥١٧.
(٤) كنز الفوائد ـ أبو الفتح الكراجكي ص ٢١٠.

وحكى المجلسي في البحار عن السيد المرتضى أنه قال: اعلم أن النائم غير كامل العقل، لأن النوم ضرب من السهو، والسهو ينفي العلوم، ولهذا يعتقد النائم الاعتقادات الباطلة لنقصان عقله وفقد علومه، وجميع المنامات إنما هي اعتقادات يبتدئها النائم في نفسه، ولا يجوز أن تكون من فعل غيره فيه، لأن من عداه من المحدثين، سواء كانوا بشراً أو ملائكة أو جناً أجسام، والجسم لا يقدر أن يفعل في غيره اعتقاداً ابتداء، بل ولا شيئاً من الأجناس على هذا الوجه، وإنما يفعل ذلك في نفسه على سبيل الابتداء. وإنما قلنا: إنه لا يفعل في غير جنس الاعتقادات متولداً، لأن الذي يعدّي الفعل من محل القدرة إلى غيرها من الأسباب إنما هو الاعتمادات، وليس في جنس الاعتمادات ما يولد الاعتقادات، ولهذا لو اعتمد أحدنا على قلب غيره الدهر الطويل ما تولد فيه شيء من الاعتقادات، وقد بيّن ذلك وشرح في مواضع كثيرة. والقديم تعالى هو القادر أن يفعل في قلوبنا ابتداء من غير سبب أجناس الاعتقادات، ولا يجوز أن يفعل في قلب النائم اعتقاداً، لأن أكثر اعتقادات النائم جهل، ويتأول الشيء على خلاف ما هو به، لأنه يعتقد أنه يرى ويمشي، وأنه راكب وعلى صفات كثيرة، وكل ذلك على خلاف ما هو به. وهو تعالى لا يفعل الجهل، فلم يبق إلا أن الاعتقادات كلها من جهة النائم. وقد ذُكر في المقالات أن المعروف بصالح قبة كان يذهب إلى أن ما يراه النائم في منامه على الحقيقة. وهذا جهل منه يضاهي جهل السوفسطائية، لأن النائم يرى أن رأسه مقطوع، وأنه قد مات، وأنه قد صعد إلى السماء، ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك كله. وإذا جاز عند صالح هذا أن يعتقد اليقظان في السراب أنه ماء، وفي المردي إذا كان في الماء أنه مكسور

وهو على الحقيقة صحيح، لضرب من الشبهة واللبس، أفلا جاز ذلك في النائم وهو من الكمال أبعد ومن النقص أقرب؟.

قال: وينبغي أن يقسم ما يتخيل النائم أنه يراه إلى أقسام ثلاثة: منها ما يكون من غير سبب يقتضيه ولا داع يدعو إليه اعتقاداً مبتدأ. ومنها ما يكون من وسواس الشيطان يفعل في داخل سمعه كلاماً خفياً يتضمن أشياء مخصوصة، فيعتقد النائم إذا سمع ذلك الكلام أنه يراه. فقد نجد كثيراً من النيام يسمعون حديث من يتحدث بالقرب منهم، فيعتقدون أنهم يرون ذلك الحديث في منامهم. ومنها ما يكون سببه والداعي إليه خاطراً يفعله الله تعالى، أو يأمر بعض الملائكة بفعله. ومعنى هذا الخاطر أن يكون كلاماً يفعل في داخل السمع، فيعتقد النائم أيضاً أنه ما يتضمن ذلك الكلام. والمنامات الداعية إلى الخير والصلاح في الدين يجب أن تكون إلى هذا الوجه مصروفة، كما أن ما يقتضي الشر منها الأولى أن تكون إلى وسواس الشيطان مصروفة. وقد يجوز على هذا في ما يراه النائم في منامه، ثم يصح ذلك حتى يراه في يقظته على حد ما يراه في منامه، وفي كل منام يصح تأويله، أن يكون سبب صحته أن الله تعالى يفعل كلاماً في سمعه لضرب من المصلحة بأن شيئاً يكون أو قد كان على بعض الصفات، فيعتقد النائم أن الذي يسمعه هو يراه، فإذا صح تأويله على ما يراه. فما ذكرناه إن لم يكن مما يجوز أن تتفق فيه الصحة اتفاقاً، فإن في المنامات ما يجوز أن يصح بالاتفاق وما يضيق فيه مجال نسبته إلى الاتفاق، فهذا الذي ذكرناه يمكن أن يكون وجهاً فيه.

قال: فإن قيل: أليس قد قال أبو علي الجبائي في بعض كلامه

في المنامات: إن الطبائع لا يجوز أن تكون مؤثرة فيها، لأن الطبائع لا يجوز على المذاهب الصحيحة أن تؤثر في شيء، وأنه غير ممتنع مع ذلك أن يكون بعض المآكل يكثر عندها المنامات بالعادة، كما أن فيها ما يكثر عنده بالعادة تخييل الإنسان وهو مستيقظ ما لا أصل له؟ قلنا: قد قال ذلك أبو علي وهو خطأ، لأن تأثيرات المآكل بمجرى العادة على المذاهب الصحيحة إذا لم تكن مضافة إلى الطبائع فهو من فعل الله تعالى، فكيف نضيف التخيل الباطل، والاعتقاد الفاسد إلى فعل الله تعالى؟ فأما المستيقظ الذي استشهد به فالكلام فيه والكلام في النائم واحد، ولا يجوز أن نضيف التخيل الباطل إلى فعل الله تعالى في نائم ولا يقظان. فأما ما يتخيل من الفاسد وهو غير نائم فلا بد من أن يكون ناقص العقل في الحال فاقد التمييز بسهو وما يجري مجراه، فيبتدئ اعتقاد الأصل له كما قلناه في النائم.

قال: فإن قيل: فما قولكم في منامات الأنبياء عليهم السلام، وما السبب في صحتها حتى عد ما يرونه في المنام مضاهياً لما يسمعونه من الوحي؟ قلنا: الأخبار الواردة بهذا الجنس غير مقطوع على صحتها، ولا هي مما توجب العلم، وقد يمكن أن يكون الله تعالى أعلم النبي بوحي يسمعه من الملك على الوجه الموجب للعلم أني سأريك في منامك في وقت كذا ما يجب أن تعمل عليه، فيقطع على صحته من هذا الوجه، لا بمجرد رؤيته له في المنام. وعلى هذا الوجه يحمل منام إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه، ولولا ما أشرنا إليه كيف كان يقطع إبراهيم عليه السلام بأنه متعبد بذبح ولده؟.

ثم قال: وهذا الذي رتبناه في المنامات وقسمناه أسد تحقيقاً من

كل شيء قيل في أسباب المنامات، وما سطر في ذلك معروف غير محصل ولا محقق. فأما ما يهذي إليه الفلاسفة في هذا الباب فهو مما يضحك الثكلى، لأنهم ينسبون ما صح من المنامات ـ لما أعيتهم الحيل في ذكر سببه ـ إلى أن النفس اطلعت إلى عالمها فأشرفت على ما يكون، وهذا الذي يذهبون إليه في حقيقة النفس غير مفهوم ولا مضبوط، فكيف إذا أضيف إليه الاطلاع على عالمها، وما هذا الاطلاع؟ وإلى أي شيء يشيرون بعالم النفس؟ ولم يجب أن تعرف الكائنات عند هذا الاطلاع؟ فكل هذا زخرفة ومخرقة، وتهاويل لا يتحصل منها شيء. وقول صالح قبة مع أنه تجاهل محض أقرب إلى أن يكون مفهوماً من قول الفلاسفة، لأن صالحاً ادعى أن النائم يرى على الحقيقة ما ليس يراه، فلم يشر إلى أمر غير معقول ولا مفهوم، بل ادعى ما ليس بصحيح وإن كان مفهوماً، وهؤلاء عولوا على ما لا يفهم مع الاجتهاد، ولا يعقل مع قوة التأمل، والفرق بينهما واضح. فأما سبب الإنزال فيجب أن يبنى على شيء يحقق سبب الإنزال في اليقظة مع الجماع، ليس هذا مما يهذي به أصحاب الطبائع، لأنا قد بيّنا في غير موضع أن الطبع لا أصل له وأن الإحالة فيه على سراب لا يتحصل، وإنما سبب الإنزال أن الله تعالى أجرى العادة بأن يخرج هذا الماء من الظهر عند اعتقاد أنه يجامع وإن كان هذا الاعتقاد باطلا[١].

وقال العلامة المجلسي في البحار، بعد أن استعرض آراء العلماء:

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٥٨ ص ٢١٤، نقلاً عن كتاب الغرر والدرر للمرتضى.

إن الذي يظهر من الأخبار أن الرؤيا تستند إلى أمور شتى:

فمنها: أن للروح في حالة النوم حركة إلى السماء، إما بنفسها بناء على تجسمها كما هو الظاهر من الأخبار، أو بتعلقها بجسد مثالي إن قلنا به في حال الحياة أيضاً، بأن يكون للروح جسدان أصلي ومثالي يشتد تعلقها في حال اليقظة بهذا الجسد الأصلي، ويضعف تعلقها بالآخر، وينعكس الأمر في حال النوم، أو بتوجهها وإقبالها إلى عالم الأرواح بعد ضعف تعلقها بالجسد بنفسها من غير جسد مثالي. وعلى تقدير التجسم أيضاً يحتمل ذلك كما يومئ إليه بعض الأخبار، بأن تكون حركتها كناية عن إعراضها عن هذا الجسد وإقبالها إلى عالم آخر وتوجهها إلى نشأة أخرى، وبعد حركتها بأي معنى كانت ترى أشياء في الملكوت الأعلى، وتطالع بعض الألواح التي أثبتت فيها التقديرات. فإن كان لها صفاء ولعينها ضياء يرى الأشياء كما أثبتت، فلا تحتاج رؤياه إلى تعبير، وإن استدلت على عين قلبه أغطية أرماد التعلقات الجسمانية والشهوات النفسانية، فيرى الأشياء بصور شبيهة لها، كما أن ضعيف البصر ومؤوف العين يرى الأشياء على غير ما هي عليه، والعارف بعلته يعرف أن هذه الصورة المشبهة التي اشتبهت عليه صورة لأي شيء، فهذا شأن المعبر العارف بداء كل شخص وعلته. ويمكن أيضاً أن يظهر الله عليه الأشياء في تلك الحالة بصور يناسبها لمصالح كثيرة، كما أن الإنسان قد يرى المال في نومه بصورة حية، وقد يرى الدراهم بصورة عذرة، ليعرف أنهما يضران وهما مستقذران واقعاً، فينبغي أن يتحرز عنهما ويجتنبهما. وقد ترى في الهواء أشياء فهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها، ويحتمل أن يكون

المراد بما يراه في الهواء ما أنس به من الأمور المألوفة والشهوات والخيالات الباطلة، وقد مضى ما يدل على هذين النوعين في رواية محمد بن القاسم ورواية معاوية بن عمار وغيرهما.

ومنها: ما هو بسبب إفاضة الله تعالى عليه في منامه إما بتوسط الملائكة أو بدونه، كما يومئ إليه خبر أبي بصير، وسعد بن أبي خلف.

ومنها: ما هو بسبب وسواس الشيطان واستيلائه عليه بسبب المعاصي التي عملها في اليقظة أو الطاعات التي تركها فيها أو الكثافات والنجاسات الظاهرية والباطنية التي لوث نفسه بها، كما مر في رواية هزع، ورواية تارك الزكاة وغيرهما، وتدل عليه آية النجوى على بعض الوجوه.

ومنها: ما هو سبب ما بقي في ذهنه من الخيالات الواهية والأمور الباطلة، ويومئ إليه خبر ابن أبي خلف وغيره.

وأما ما وراء ذلك مما سبق ذكره وإن كان بعضها محتملاً ويمكن تطبيق الآيات والأخبار عليه، لكن لم يدل عليه دليل، والتجويز والإمكان لا يقومان مقام البرهان، مع أنه ليس من الأمور التي يجب تحقيقها والإذعان بكيفيتها[1].

أقول، وخير الكلام في هذا المجال ما قاله العلامة الطباطبائي، في حاشيته على البحار تارة، وفي تفسير الميزان تارة أخرى.

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٥٨ ص ٢١٧.

وأما في الحاشية فقد اعتبر أن مسألة الرؤيا من غوامض المسائل النفسية، وأن جهات منها ما تزال قيد الإبهام، وجهات منها قد اتضحت، ويستعرض الجهات البينة، ومنها أن الرائي في المنام ينال إدراكاً من غير الحس، وهذا الإدراك له وجود في النفس، ويكون بطلانه وصحته لا من حيث وجوده في النفس، بل من حيث الانطباق على الخارج وعدمه. والواقع يشهد بحكاية كثير من المنامات المنبئة عن وقوع أشياء في الخارج سواء فيما مضى أو فيما يأتي، والحال أن الرائي لم يكن قد عاصر ما مضى، ولا رأى ما سيأتي، وهذه الحكايات لكثرتها لا يمكن تكذيبها كلها، خاصة منامات الأنبياء والأولياء التي لا تخلو من وحي وإلهام. وفي الوقت نفسه هناك من المنامات ما يكون مجرد تمثلات ذهنية لميول وآمال، وانعكاسات لما في النفس من تخيلات وأفكار، فتظهر في الرؤيا في صور شتى كمن يعيد إنتاج ما عنده من تصورات مسبقاً بصيغة الرؤى. وهذه الرؤى يمكن تعليلها بعلل نفسية لا يزال علماء النفس يشتغلون بها. أما النوع الأول، أي ما كان حاكياً عن واقع لم يشهده الرائي، فإنه لا يمكن تعليله بعوامل نفسية وظواهر تخيلية، فأي حالة نفسية هي التي توجب أن يرى الرائي ما يدله على شيء مفقود مثلاً، أو على وقوع حادث في زمان سيأتي، وما هو الرابط بين الإنسان، والعلم بقضايا لم تكن في ذهنه وفي نفسه، فلا شك أن هذه المعلومات لا تستطيع أن تنتجها النفس، كما استطاعت أن تنتج ما كان من النوع الآخر. فتلك المعلومات لم تكن نتاج تواصل مادي مع المعلوم، لأن الإنسان حال النوم لا يملك أي ارتباط مادي بينه وبين غيره يوجب تلك الإدراكات. وهذا يعني أن النفس عند تحصيلها تلك الإدراكات تكون

قد أشرفت على عالم غير مادي شاهدت فيه تلك الأمور التي تماثل عالم المادة. وهذا ليس بمستحيل عقلاً، ولا دليل شرعي ينفيه، بل في النصوص ما يدل عليه[١].

وقال في تفسير الميزان، ما خلاصته: إن «الباحثين من علماء الطبيعة من أوروبا لا يرون للمنامات حقيقة، ولا للبحث عن شأنها وارتباطها بالحوادث الخارجية وزناً علمياً، إلا بعضهم من علماء النفس ممن اعتنى بأمرها، واحتج عليهم ببعض المنامات الصحيحة التي تنبئ عن حوادث مستقبلة، أو أمور خفية إنباء عجيباً لا سبيل إلى حمله على مجرد الاتفاق والصدفة، وهي منامات كثيرة جداً مروية بطرق صحيحة لا يخالطها شك كاشفة عن حوادث خفية أو مستقبلة أوردها في كتبهم. وللرؤيا حقيقة ما منا واحد إلا وقد شاهد من نفسه شيئاً من الرؤى والمنامات دله على بعض الأمور الخفية، أو المشكلات العلمية أو الحوادث التي ستستقبله من الخير أو الشر، أو قرع سمعه بعض المنامات التي من هذا القبيل، ولا سبيل إلى حمل ذلك على الاتفاق، وانتفاء أي رابطة بينها وبين ما ينطبق عليها من التأويل، وخاصة في المنامات الصريحة التي لا تحتاج إلى تعبير. نعم لا سبيل أيضاً إلى إنكار أن الرؤيا أمر إدراكي، وللخيال فيها عمل، والمتخيلة من القوى الفعالة دائماً ربما تدوم في عملها من جهة الأنباء الواردة عليها من ناحية الحس كاللمس والسمع، وربما تأخذ صوراً بسيطة أو مركبة من الصور والمعاني المخزونة عندها، فتحلل المركبات، كتفصيل صورة الإنسان التامة إلى رأس ويد ورجل وغير

---

(١) المصدر المتقدم ـ الحاشية.

ذلك، وتركب البسائط كتركيبها إنساناً مما اختزن عندها من أجزائه وأعضائه، فربما ركبته بما يطابق الخارج، وربما ركبته بما لا يطابقه، كتخيل إنسان لا رأس له أو له عشرة رؤوس. وبالجملة للأسباب والعوامل الخارجية المحيطة بالبدن، كالحر والبرد ونحوها، والداخلية الطارئة عليه، كأنواع الأمراض والعاهات، وانحرافات المزاج وامتلاء المعدة والتعب وغيرها تأثير في المتخيلة فلها تأثير في الرؤيا. وكذلك الأخلاق والسجايا الإنسانية شديدة التأثير في نوع تخيله، فالذي يحب إنساناً أو عملاً لا ينفك يتخيله في يقظته، ويراه في نومته، والضعيف النفس الخائف إذا فوجئ بصوت يتخيل إثره أموراً هائلة لا إلى غاية، وكذلك البغض والعداوة والعجب والكبر والطمع، ونظائرها كل منها يجر الإنسان إلى تخيله صور متسلسلة تناسبه وتلائمه، وقلما يسلم الإنسان من غلبة بعض هذه السجايا على طبعه. ولذلك كان أغلب الرؤى والمنامات من التخيلات النفسانية التي ساقها إليها شيء من الأسباب الخارجية والداخلية الطبيعية أو الخلقية ونحوها، فلا تحكي النفس بحسب الحقيقة إلا كيفية عمل تلك الأسباب وأثرها فيها فحسب لا حقيقة لها وراء ذلك. وهذا هو الذي ذكره منكرو حقيقة الرؤيا من علماء الطبيعة لا يزيد على تعداد هذه الأسباب المؤثرة في الخيال العمالة في إدراك الإنسان، غير أنه لا ينتج إلا أن مجموع الرؤيا ليس ذا حقيقة، وهذا لا ينافي أن يكون بعضها ذا حقيقة. والخلاصة أن كل الرؤى لا تخلو عن أصول وأسباب تستدعي وجودها للنفس وظهورها للخيال، وهي على اختلافها تحكي. فلكل منام تأويل وتعبير، غير أن تأويل بعضها السبب الطبيعي العامل في البدن في حال النوم، وتأويل بعضها السبب الخلقي وبعضها أسباب متفرقة

اتفاقية، كمن يأخذه النوم وهو متفكر في أمر مشغول النفس به فيرى في حلمه ما يناسب ما كان ذاهناً له.

وإنما البحث في نوع واحد من هذه المنامات وهي الرؤى الصادقة التي لا تستند إلى أسباب خارجية طبيعية أو مزاجية أو اتفاقية، ولا إلى أسباب داخلية خلقية أو غير ذلك، ولها ارتباط بالحوادث الخارجية والحقائق الكونية. وقد يكون أحد طرفي الارتباط أمراً معدوماً بعد كمن يرى أن حادثة كذا وقعت ثم وقعت بعد حين كما رأى. ولا معنى للارتباط الوجودي بين موجود ومعدوم، أو أمراً غائباً عن النفس لم يتصل بها من طريق شيء من الحواس، كمن رأى أن في مكان كذا دفيناً فيه من الذهب المسكوك كذا، ومن الفضة كذا في وعاء صفته كذا وكذا، ثم مضى إليه وحفر كما دل عليه فوجده كما رأى، ولا معنى للارتباط الإدراكي بين النفس وبين ما هو غائب عنها لم ينله شيء من الحواس. ولذا قيل إن الارتباط إنما استقر بينها وبين النفس النائمة من جهة اتصال النفس بسبب الحادثة الواقعة الذي فوق عالم الطبيعة فترتبط النفس بسبب الحادثة ومن طريق سببها بنفسها.

توضيح ذلك أن العوالم ثلاثة: عالم الطبيعة، وهو العالم الدنيوي الذي نعيش فيه، والأشياء الموجودة فيها صور مادية تجري على نظام الحركة والسكون والتغير والتبدل. وثانيها عالم المثال، وهو فوق عالم الطبيعة وجوداً، وفيه صور الأشياء بلا مادة منها تنزل هذه الحوادث الطبيعية وإليها تعود، وله مقام العلية ونسبة السببية لحوادث عالم الطبيعة. وثالثها عالم العقل، وهو فوق عالم المثال

وجوداً، وفيه حقائق الأشياء وكلياتها من غير مادة طبيعية ولا صورة، وله نسبة السببية لما في عالم المثال. والنفس الإنسانية لتجردها لها مسانخة مع العالمين عالم المثال وعالم العقل، فإذا نام الإنسان وتعطلت الحواس انقطعت النفس طبعاً عن الأمور الطبيعية الخارجية ورجعت إلى عالمها المسانخ لها، وشاهدت بعض ما فيها من الحقائق بحسب ما لها من الاستعداد والإمكان.

فإن كانت النفس كاملة متمكنة من إدراك المجردات العقلية أدركتها، واستحضرت أسباب الكائنات على ما هي عليها من الكلية والنورية، وإلا حكتها حكاية خيالية بما تأنس بها من الصور والأشكال الجزئية الكونية، كما نحكي نحن مفهوم السرعة الكلية بتصور جسم سريع الحركة، ونحكي مفهوم العظمة بالجبل ومفهوم الرفعة والعلو بالسماء وما فيها من الأجرام السماوية، ونحكي الكائد المكار بالثعلب والحسود بالذئب والشجاع بالأسد إلى غير ذلك.

وان لم تكن متمكنة من إدراك المجردات على ما هي عليها والارتقاء إلى عالمها توقفت في عالم المثال مرتقية من عالم الطبيعة فربما شاهدت الحوادث بمشاهدة عللها وأسبابها من غير أن تتصرف فيها بشيء من التغيير، ويتفق ذلك غالباً في النفوس السليمة المتخلقة بالصدق والصفاء وهذه هي المنامات الصريحة. وربما حكت ما شاهدته منها بما عندها من الأمثلة المأنوس بها كتمثيل الازدواج بالاكتساء والتلبس والفخار بالتاج والعلم بالنور والجهل بالظلمة وخمود الذكر بالموت وربما انتقلنا من الضد إلى الضد كانتقال أذهاننا إلى معنى الفقر عند استماع الغنى، وانتقالنا من تصور النار إلى تصور الجمد ومن تصور الحياة إلى تصور الموت وهكذا..

قال: وقد تبين مما قدمناه أن المنامات الحقة تنقسم انقساماً أولياً إلى منامات صريحة لم تتصرف فيها نفس النائم، فتنطبق على ما لها من التأويل من غير مؤنة، ومنامات غير صريحة تصرفت فيها النفس من جهة حكاية الأمثال والانتقال من معنى إلى ما يناسبه أو يضاده، وهذه هي التي تحتاج إلى التعبير بردها إلى الأصل الذي هو المشهود الأولى للنفس، كرد التاج إلى الفخار، ورد الموت إلى الحياة، والحياة إلى الفرج بعد الشدة، ورد الظلمة إلى الجهل والحيرة أو الشقاء. ثم هذا القسم الثاني ينقسم إلى قسمين، أحدهما ما تتصرف فيه النفس بالحكاية فتنتقل من الشيء إلى ما يناسبه أو يضاده، ووقفت في المرة والمرتين مثلاً بحيث لا يعسر رده إلى أصله، كما مر من الأمثلة. وثانيهما ما تتصرف فيه النفس من غير أن تقف على حد، كأن تنتقل مثلاً من الشيء إلى ضده، ومن الضد إلى مثله، ومن مثل الضد إلى ضد المثل وهكذا بحيث يتعذر أو يتعسر للمعبر أن يرده إلى الأصل المشهود. وهذا النوع من المنامات هي المسماة بأضغاث الأحلام، ولا تعبير لها لتعسره أو تعذره. وقد بان بذلك أن هذه المنامات ثلاثة أقسام: كلية وهي المنامات الصريحة، ولا تعبير لها لعدم الحاجة إليه. وأضغاث الأحلام، ولا تعبير فيها لتعذره أو تعسره. والمنامات التي تصرفت فيها النفس بالحكاية والتمثيل، وهي التي تقبل التعبير. هذا إجمال ما أورده علماء النفس من قدمائنا في أمر الرؤيا، واستقصاء البحث فيها أزيد من هذا المقدار موكول إلى كتبهم في هذا الشأن.

قال: وفي القرآن ما يؤيد ذلك قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾(١) وقال: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِى لَمۡ تَمُتۡ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾(٢). وظاهره أن النفوس متوفاة ومأخوذة من الأبدان مقطوعة التعلق بالحواس الظاهرة راجعة إلى ربها نوعاً من الرجوع يضاهي الموت. وقد أشير في كلامه إلى كل واحد من الأقسام الثلاثة المذكورة: فمن القسم الأول ما ذكر من رؤيا إبراهيم عليه السلام، ورؤيا أم موسى، وبعض رؤى النبي صلى الله عليه وآله. ومن القسم الثاني ما في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٍۖ﴾. ومن القسم الثالث رؤيا يوسف، ومناما صاحبيه في السجن، ورؤيا ملك مصر المذكورة في سورة يوسف(٣).

ولنا عود إلى هذا الموضوع في سياق بحثنا عن المنامات في الروايات الشريفة.

---

(١) سورة الأنعام الآية: ٦٠.

(٢) سورة الزمر الآية: ٤٢.

(٣) تفسير الميزان ج ١١ ص ٢٦٨.

البحث الثالث:

المنام في الروايات

وحيث إن فهم مسألة المنامات لن تتم بالشكل الكافي من دون الاعتماد على النقل، كان من الضروري أن نعقد هذا الفصل لنطلع على ما ورد في تفسيرها، وما يتعلق بها. وقد تحدثت الروايات عن جوانب شتى متعلقة بالمنامات. ويمكن تصنيف هذه الروايات إلى مجموعات:

المجموعة الأولى، أن الرؤيا على أقسام:

فقد روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الرؤيا على ثلاثة وجوه: بشارة من الله للمؤمن، وتحذير من الشيطان، وأضغاث أحلام[1].

وقد روي هذا المعنى بألفاظ مختلفة، فقد رواه النسائي بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرؤيا على ثلاثة، بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والشيء يحدث به الإنسان فيراه في منامه»[2].

(١) الكافي، للكليني، ج ٨ ص ٩٠.
(٢) السنن الكبرى ـ النسائي ج ٦ ص ٢٢٥.

ورواه والد الشيخ الصدوق، الملقب بالصدوق أيضاً، في كتاب التبصرة، بسنده عن الإمام موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرؤيا ثلاثة: بشرى من الله، وتحزين من الشيطان، والذي يحدث به الإنسان نفسه فيراه في منامه». وقال صلى الله عليه وآله: «الرؤيا من الله والحلم من الشيطان»[١].

ورواه ابن حنبل في مسنده، بسنده عن عبد الله بن أبي قتادة، عن أبيه، أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن الرؤيا الصالحة من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبصق عن شماله ثلاث مرات، وليتعوذ بالله من الشيطان فإنه لا يضره»[٢].

ورواه أيضاً بسنده عن أبي قتادة، مع بعض الاختلاف، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان، فإذا حلم أحدكم الحلم يكرهه فليبصق عن يساره ثلاثاً، وليستعذ بالله منه فلن يضره»[٣].

ورواه ابن أبي شيبة، مخرجاً له عن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الرؤيا على ثلاثة، تخويف من الشيطان ليحزن به ابن آدم، ومنه الأمر يحدث به نفسه في اليقظة فيراه في المنام، ومنه جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[٤].

وهذه الروايات على اختلاف ألفاظها تؤكد أن من الرؤيا ما يكون

---

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٥٨ ص ١٩١، نقلاً عن التبصرة.
(٢) مسند أحمد ـ الإمام أحمد بن حنبل ج ٥ ص ٣٠٠، ورواه البخاري في صحيحه، ج ٤ ص ٩٥.
(٣) المصدر السابق، ورواه البخاري في صحيحه، المصدر السابق.
(٤) الدر المنثور ـ جلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٣١٢.

من الله تعالى بشرى أو إنذاراً، ومنها ما يكون من الشيطان وسوسة، ومنها ما يكون من الإنسان نفسه، وهو ما يكون حديث نفسه وما ارتكز فيها من أفكار وتصورات تنعكس في المنامات رؤى. ومن الطبيعي أنه وفقاً لهذا التقسيم فإن الرؤى الصادقة هي التي كانت من الله تعالى. وما عداها تكون أضغاث أحلام، صحيح أن بعض الروايات ذكرت خصوص البشرى، لكن منها ما يكون إنذاراً كما ذكرنا، وفي بعض الروايات إنها تنبيه للعبد حتى لا يتمادى في غيه، فتحذره من المضي في الحال التي هو فيها ليعدل عنها إلى حال أفضل، فيكون الاقتصار في هذه الروايات على البشرى لمحض التمثيل، أو ذكر الجانب الأهم. وبعض هذه الروايات ميزت بين الرؤى والحلم، فالرؤى من الله تعالى، والحلم من الشيطان. وهو ما يشير إليه تعبير أضغاث الأحلام، فلا يقال عن الرؤى إنها أضغاث.

أما كيف تكون تلك من الله تعالى، وهذه من الشيطان، وأخرى من الإنسان فهذا ما لم توضحه هذه الروايات. وإن كان يظهر من بعضها أن ما هو من الإنسان، فإنما هو ما يحدث به الإنسان نفسه في اليقظة فيراه في المنام، أي يشغل باله، أو يخزنه في لاوعيه. وأن ما هو من الشيطان هو ما يخيف الإنسان.

ولهذا الاختلاف حكمة، دلت عليها رواية رواها المفضل بن عمر في توحيده عن الصادق عليه السلام، في أواخر المجلس الأول، في حديث طويل، قال: فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها، فمزج صادقها بكاذبها، فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء ولو كانت كلها تكذب، لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلاً لا

معنى له فصارت تصدق أحياناً فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدي بها أو مضرة يحذر منها، وتكذب كثيراً لئلا يعتمد عليها كل الاعتماد[١].

المجموعة الثانية: منشأ التقسيم:

وقد دلت هذه المجموعة، على كيفية كون المنامات من الله تعالى، أو من الشيطان:

فمن ذلك: ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن الرجل ينام فيرى الرؤيا، فربما كانت حقاً، وربما كانت باطلاً. فقال رسول الله ﷺ: يا علي، ما من عبد ينام إلا عرج بروحه إلى رب العالمين، فما رأى عند رب العالمين فهو حق، ثم إذا أمر الله العزيز الجبار برد روحه إلى جسده، فصارت الروح بين السماء والأرض فما رأته فهو أضغاث أحلام[٢].

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن محمد بن القاسم النوفلي، قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: المؤمن يرى الرؤيا فتكون كما رآها، وربما رأى الرؤيا فلا تكون شيئاً؟ فقال: إن المؤمن إذا نام خرجت من روحه حركة ممدودة صاعدة إلى السماء، فكل ما رآه روح المؤمن في ملكوت السماء في موضع التقدير والتدبير فهو الحق، وكل ما رآه في الأرض فهو أضغاث أحلام. فقلت له: أو تصعد روح إلى السماء؟ قال: نعم. قلت: حتى لا يبقى منها شيء

(١) التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي، ص ٤٣.

(٢) أمالي الصدوق ص ٢١٠.

في بدنه؟ فقال: لا، لو خرجت كلها حتى لا يبقى منها شيء إذن لمات. قلت: فكيف تخرج؟ فقال: أما ترى الشمس في السماء في موضعها وضوئها وشعاعها في الأرض، فكذلك الروح أصلها في البدن وحركتها ممدودة إلى السماء[١].

وهذه الرواية قد يصلح جعلها من الروايات التي تعرض تقسيماً آخر للروايات مختلفاً عن التقسيم السابق، إلا أنها ليست في هذا الوارد، لهذا لم نعدها في المجموعة السابقة، بل هي في وارد بيان المنشأ، فإن المنامات مهما تعددت أقسامها، فهي في النهاية إما منامات صادقة، أو منامات كاذبة، وليست الكاذبة إلا الأضغاث.

إلا أن حصر هذه الرواية الأضغاث بما تراه النفس حال إيابها إلى الجسد، يهمل المنامات التي تكون عن حديث النفس، أو عن وسوسة الشيطان، إلا أن يقال، بأن ما يكون عن حديث النفس يظهر للنفس في المنامات حال إياب النفس، ويقال مثله في الوسوسة فإن الشيطان يبثها في تلك الحال أيضاً.

وربما يشير إليه ما رواه الشيخ الصدوق أيضاً بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: إن لإبليس شيطاناً يقال له «هزع» يملأ المشرق والمغرب في كل ليلة يأتي الناس في المنام[٢].

(١) الأمالي ـ الشيخ الصدوق ص ٢٠٨.
(٢) المصدر السابق.

ويقرب منها ما رواه الشيخ الصدوق أيضاً بسنده عن معاوية بن عمار، عن أبي جعفر، قال: إن العباد إذا ناموا خرجت أرواحهم إلى السماء، فما رأت الروح في السماء فهو الحق، وما رأت في الهواء فهو الأضغاث..[1].

والفرق أن رواية الكافي ذكرت أن الرؤيا الكاذبة ما يرى حال الإياب، ورواية الصدوق الأولى ذكرت أن الكاذبة ما يرى في الأرض، وروايته الثانية ذكرت أن الكاذبة ما يرى في الهواء.

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، الرؤيا الصادقة والكاذبة مخرجهما من موضع واحد؟ قال: صدقت، أما الكاذبة المختلفة فإن الرجل يراها في أول ليلة في سلطان المردة الفسقة، وإنما هي شيء يخيل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها. وأما الصادقة إذا رآها بعد الثلثين من الليل مع حلول الملائكة ـ وذلك قبل السحر ـ فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله، إلا أن يكون جنباً أو يكون على غير طهور، أو لم يذكر الله عز وجل حقيقة ذكره، فإنها تختلف وتبطئ على صاحبها[2].

وعلى هذه الرواية يكون ظرف الرؤيا الكاذبة متقدماً على ظرف الرؤيا الصادقة، بخلاف الرواية السابقة، التي جعلت ظرف الصادقة متقدماً على الكاذبة. وهذا التنافي يمكن رفعه، بأن يكون المقصود أن

(١) الأمالي ـ الشيخ الصدوق ص ٢٠٨.
(٢) الكافي للشيخ الكليني، ج٨، ص٩١.

ما يكون من النفس وحديثها، وانعكاساً لشهواته وما يكون نتاج مزاجه يحدث أثراً في النفس حال النوم في أول الليل، إذ يكون لا يزال منشغلاً بنفسه لم يتحرر منها، فإذا مضى وقت من الليل حتى السحر تسكن قواه، ويزول عنه ما اعتراه من الخيالات والشهوات، ويصير أقرب للتواصل مع الملائكة، كما ذكر المجلسي في البحار[1]. ويكون ما ذكرته الرؤية السابقة بيان منشأٍ آخر للرؤيا الكاذبة.

وفي قول أبي بصير «مخرجهما من موضع واحد» وجوه ذكرها في البحار، قال: لعل المراد أن ارتسامهما في محل واحد، أو أن علتهما معاً الارتسام لكن علة الارتسام فيهما مختلفة، وقيل: يعني كليهما صورة علمية يخلقها الله تعالى في قلب عباده بأسباب روحانية أو شيطانية أو طبيعية.

ومنها: ما ورد عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: إن الله تعالى خلق الروح وجعل لها سلطاناً فسلطانها النفس، فإذا نام العبد خرجت الروح وبقي سلطانه، فيمر به جيل من الملائكة وجيل من الجن فمهما كان من الرؤيا الصادقة فمن الملائكة، ومهما كان من الرؤيا الكاذبة فمن الجن.

وهذه الرواية لا تميز بين الرؤيا الصادقة والكاذبة بحسب الظرف والزمان، ولا تجعل لإحداهما تقدماً على الأخرى، وإنما تربط بين الجهة المتلقى منها، فما تلقته النفس من صفوف

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٥٨ صفحة ١٩٤.

الملائكة كان من الرؤيا الصادقة، وما تلقته من صفوف الجن كان من الرؤيا الكاذبة.

ومنها: ما أخرجه الحكيم الترمذي، وابن مردويه، عن حميد بن عبد الله رضي الله عنه، أن رجلاً سأل عبادة بن الصامت عن قوله «لهم البشرى في الحياة الدنيا»، فقال عبادة: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو ترى له، وهو كلام يكلم به ربك عبده في المنام»[1].

ويمكن الجمع بين كل هذه الروايات، بأن الرؤيا الصادقة لها منشأ واحد، هو الله تعالى وملائكته. بينما الرؤيا الكاذبة مختلفة المنشأ، فمنها ما يكون عن شيطان، ومنها ما يكون عما تراه النفس من صفوف الجن، ومنها ما يكون عما تراه النفس في الأرض، ومنها ما يكون عما تراه النفس في الهواء، ومنها ما يكون عن شهوات النفس وتخيلاتها. والكل ينطبع في النفس، وتختلف النفوس في استحضارها لما تتلقاه من الله تعالى وملائكته، وقوة مطابقة الصورة التي تعكسها النفس لما تراه، فإن مخرج الرؤى واحد.

المجموعة الثالثة: الرؤيا الصادقة من المبشرات:

والرؤيا الصادقة هي التي ورد في بعض الروايات أنها بشرى المؤمنين التي وعدهم بها الله سبحانه وتعالى في الدارين، في قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾، كما تقدم في بعض الروايات.

---

(١) الدر المنثور ـ جلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٣١٢.

ومن هذه المجموعة ما رواه الكليني بسنده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: في قول الله عز وجل: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1]، قال: «هي الرؤيا الحسنة يرى المؤمن فيبشر بها في دنياه»[2].

ومنها: ما رواه السيوطي عن جمع من أصحاب الأصول والسنن، بسندهم عن عطاء بن يسار، عن رجل من أهل مصر، قال: سألت أبا الدرداء عن قول الله تعالى ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾. فقال: ما سألني عنها أحد منذ سألت رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال صلى الله عليه وآله: «ما سألني عنها أحد غيرك منذ أنزلت، هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، فهي بشراه في الحياة الدنيا، وبشراه في الآخرة الجنة»[3].

ومنها: ما رواه عن جمع من أصحاب الأصول والسنن بسندهم عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن قوله ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. قال: «هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له»[4].

وروى السيوطي ما يقرب من هذا المعنى عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وفيه أيضاً أنه لم يسأله أحد قط عن هذه المسألة قبل جابر، وهذا مناف لرواية أبي الدرداء.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٦٤.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني، ج٨، ص٩٠.

(٣) الدر المنثور ـ جلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٣١١.

(٤) المصدر السابق.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أصبح قال لأصحابه: هل من مبشرات؟ يعني به الرؤيا. روى ذلك الكليني بسنده عن معمر بن خلاد، عن الرضا عليه السلام[(١)].

وعن الإمام علي عليه السلام: الرؤيا الصالحة إحدى البشارتين.

وروى الشيخ الصدوق في الفقيه، قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل من أهل البادية له جسم وجمال فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عز وجل ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فقال: أما قوله ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ فهي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر بها في دنياه، وأما قول الله عز وجل ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ فإنها بشارة المؤمن عند الموت، يبشر بها عند موته أن الله قد غفر لك ولمن يحملك إلى قبرك.

ومن هذه البشرى أن يكون المنام وسيلة تردع المؤمن عن المعاصي، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا كان العبد على معصية الله عز وجل، وأراد الله به خيراً، أراه في منامه رؤيا تروعه، فينزجر بها عن تلك المعصية».

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن سمير بن أبي واصل، قال: كان يقال: إذا أراد الله بعبده خيراً عاتبه في نومه[(٢)].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٨، ص٩٠.
(٢) الدر المنثور ـ جلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٣١٢.

وفي روايات كثيرة كادت أن تكون متواترة، أن الرؤيا الصادقة من مبشرات النبوة:

فقد وروى السيوطي في الدر المنثور، عن عدة من أصحاب الأصول بسندهم عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له»[1].

وروى السيوطي أيضاً عن جمع من أصحاب الأصول والسنن بسندهم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: قال رسول الله ﷺ: لا نبوة بعدي إلا المبشرات. قيل: يا رسول الله، وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة[2].

وروى السيوطي أيضاً عن جمع من أصحاب الأصول والسنن بسندهم عن عبد الله بن عمر، عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: الرؤيا الصالحة يبشر بها المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة فمن رأى ذلك فليخبر بها[3].

وهذه الرواية جمعت بين عنوان المبشرات إذ يعلم من عد الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء من النبوة أنها مبشرات النبوة، وبين البشرى المذكورة في القرآن الكريم.

---

(١) الدر المنثور ـ جلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٣١٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

المجموعة الرابعة: أن الرؤيا جزء من أجزاء من النبوة:

وهذا تعظيم آخر لشأن الرؤيا الصالحة أو الصادقة، وأنها جهة من جهات النبوة، وهو يكون أكثر وضوحاً عندما علمت أن بعض الأنبياء كانوا يتلقون الوحي عن طريق المنام، وإن كانت أرواح الأنبياء حال النوم ليست في الغفلة التي يكون عليها الناس العاديون.

ولنستعرض جملة من هذه الروايات، علماً أنه قد تقدم بعضها:

فمن ذلك: ما رواه الكليني بسند صحيح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: رأي المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزء من أجزاء النبوة[١].

وروى الحسين بن سعيد بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رأي المؤمن ورؤياه جزء من سبعين جزءًا من النبوة، ومنهم من يعطى على الثلاث[٢].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: إن المؤمن ورؤياه جزء من سبعين جزءًا من النبوة، ومنهم من يعطى على الثلاث.

ويلاحظ أن الرواية الأولى قيدت كون الرؤيا من أجزاء النبوة في آخر الزمان، ولم تذكر الرواية الأخرى هذا القيد. إلا أنهما تشتركان في أن مطلق رؤيا المؤمن هي كذلك، سواء قيدناها بآخر الزمان أم لم نقيدها. وهذا مناف لروايات أخرى إذ قيدت الرؤيا بكونها صادقة أو صالحة:

---

(١) الكافي ج ٨ ص ٩٠.

(٢) كتاب المؤمن ص ٣٤.

منها: ما رواه الشيخ الصدوق في العيون والمجالس: عن محمد بن إبراهيم الطالقاني، عن ابن عقدة، عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام، في حديث يأتي نقله بتمامه: «وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءًا من النبوة»[١].

ومثله ما في الاختصاص المنسوب للشيخ المفيد عن الصادق عليه السلام أنه قال: إذا كان العبد على معصية الله عز وجل وأراد الله به خيراً أراه في منامه رؤيا تروعه فينزجر بها عن تلك المعصية، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءًا من النبوة[٢].

وقد اختلفت الأحاديث الواردة في كتب أهل السنة حول الرقم الذي تكون الرؤيا الصالحة جزء منه، ففي بعضها أنها جزء من ستة وعشرين جزءًا، وفي بعضها أنها جزء من أربعين جزءًا، وفي بعضها أنها جزء من أربعة وأربعين جزءًا من النبوة، وفي آخر أنها جزء من خمسة وأربعين جزءًا من النبوة، وفي بعضها أنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وفي بعضها أنها من خمسين جزءًا من النبوة، وفي بعضها أنها جزء من سبعين جزءًا من النبوة[٣].

قال ابن عبد البر بعد نقل هذه الأخبار:

قال أبو عمر: اختلاف آثار هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا من النبوة ليس ذلك عندي باختلاف تضاد وتدافع، والله أعلم، لأنه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعض من يراها على ستة وأربعين

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق، ص١٢١، عيون أخبار الرضا(ع)، للشيخ الصدوق، ج١، ص٢٩٩، من لا يحضره الفقيه، للشيخ الصدوق، ج٢، ص٥٨٥.

(٢) الاختصاص، ص٢٤١.

(٣) التمهيد لابن عبد البر ج ١ ص ١٤٥.

جزءًا، أو خمسة وأربعين جزءًا، أو أربعة وأربعين جزءًا، أو خمسين جزءًا، أو سبعين جزءًا على حسب ما يكون الذي يراها من صدق الحديث وأداء الأمانة والدين المتين وحسن اليقين، فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، والله أعلم. فمن خلصت له نيته في عبادة ربه ويقينه وصدق حديثه كانت رؤياه أصدق وإلى النبوة أقرب، كما أن الأنبياء يتفاضلون والنبوة كذلك، والله أعلم.

ولا يصح الجمع بين هذه الروايات بافتراض أن رؤيا المؤمن هي دائماً صادقة أو صالحة، فهذا معلوم بالوجدان خلافه، إلا أن يحمل الكلام على طائفة من المؤمنين، وخصوصاً الكمل منهم. ولعل إليه يشير بعض ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً ورؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة والرؤيا ثلاث فالرؤيا الصالحة بشرى من الله والرؤيا من تحزن الشيطان والرؤيا مما يحدث بها الرجل نفسه وإذا رأى أحدكم ما يكره فليقم وليتفل ولا يحدث به الناس وأحب القيد في النوم وأكره الغل القيد ثبات في الدين[1].

وقد يقال إنا نجدهم عليهم السلام يفرقون في جملة من الأحيان بين الرؤيا والحلم، فلا يطلقون الرؤيا إلا على ما كان صادقاً من الأحلام، بخلاف الحلم فإنه يطلق على الكاذب منها. وعلى هذا الأساس يكون قولهم عليهم السلام: رؤيا المؤمن، لا يراد بها إلا الرؤيا الصادقة لأنها هي

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة، راجع الدر المنثور - جلال الدين السيوطي ج ٣ ص ٣١٢.

التي يقال لها رؤيا، ولا يراد بالرؤيا مطلق منام. ولا يعرف المؤمن الرائي لتلك الرؤيا صدق منامه من كذبه إلا إذا تجلى له تأويله واقعاً لا تفسيراً، فيكون قد نال بعض الكشف وإنما ينكشف له هذا النيل بعد رؤيته ما رآه في المنام واقعاً متجسداً لا قبل ذلك، فليس لأي منا إذا رأى مناماً أن يقول إنها رؤيا مؤمن، وإنها جزء من سبعين جزءًا من النبوة، بل لا بد أن يتأكد أولاً من صدق ما يراه ولا يتم هذا التأكد إلا بعد التحقق، والتحقق يكون دليلاً على أنه قد حصل له بعض الكشف هي مرتبة ضعيفة من مراتب النبوة فيكون التعبير بالأجزاء كناية عن مراتب العلم في النبوة. وقد وضحت هذا المعنى الروايات التي خصت رؤيا المؤمن بالرؤيا الصادقة.

وقال العلامة الطباطبائي: واعلم أن الرؤيا ربما أطلقت في لسان القرآن والحديث على ما يشاهده الرائي ما لا يشاهده غيره وإن لم ينم نومه الطبيعي.. وأحسن كلمة في تفسيرها قوله ﷺ: «تنام عيني ولا ينام قلبي»[1].

وقد يؤيده ما روي عنه ﷺ أنه قال: خياركم أولو النهى. قيل يا رسول الله، ومن أولو النهى؟ فقال: أولو النهى أولو الأحلام الصادقة.

ويحتمل أن يكون المراد بالرؤيا ما يحصل للرائي من كشف سواء كان نائماً أم مستيقظاً، وهي بهذا الاعتبار واضحة الارتباط بأولي النهى، وبرأي المؤمن، وبكونها جزءًا من سبعين جزءًا من النبوة.

---

(١) تفسير الميزان، ج١٠، ص١٠١.

وفي معنى كون الرؤيا من أجزاء النبوة كلام:

قال في البحار تعليقاً على قوله عليه السلام: «على سبعين جزءًا»: لعل المراد أن للنبوة أجزاء كثيرة، سبعون منها من قبل الرأي أي الاستنباط اليقيني، لا الاجتهاد والتظني، والرؤيا الصادقة، فهذا المعنى الحاصل لأهل آخر الزمان على نحو تلك السبعين، ومشابه لها وإن كان في النبي أقوى. ويحتمل أن يكون المعنى: على نحو بعض أجزاء السبعين، كما ورد أن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءًا من النبوة.

ثم نقل عن البغوي في شرح السنة، شارحاً حديثاً جعل الرؤيا الصادقة جزءًا من ستة وأربعين جزءًا: إن كون الرؤيا الصادقة من أجزاء النبوة ليست لكل راء بل هي خاصة بالأنبياء، والغرض تحقيق أمر الرؤيا وتأكيده. وقال عبيد بن عمير: رؤيا الأنبياء وحي وقرأ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ﴾ ـ الآية ـ. وقيل: إنها جزء من أجزاء علم النبوة، وعلم النبوة باق، والنبوة غير باقية، أو أراد به أنها كالنبوة في الحكم بالصحة، كما قال ﷺ: الهدى الصالح، والسمت الصالح، والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة. أي هذه الخصال في الحسن والاستحباب كجزء من أجزاء النبوة، وهذه الخلال جزء من شمائل الأنبياء، وجزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا فيها بهم، لا أنها حقيقة نبوة، لأن النبوة لا تتجزأ ولا نبوة بعد محمد ﷺ، وهو معنى قوله ﷺ: ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو يرى له. وقيل: معنى قوله «جزء من ستة وأربعين» أن مدة الوحي على رسول الله من حين بدأ إلى أن فارق الدنيا كان

ثلاثاً وعشرين سنة، وكان ستة أشهر منها في أول الأمر يوحى إليه في النوم ـ وهو نصف سنة ـ، فكانت مدة وحيه في النوم جزء من ستة وأربعين جزءًا من أيام الوحي (انتهى كلام البغوي).

وهذا الذي ذكره البغوي في آخر كلامه هو ما حكاه المجلسي في البحار عن الجزري في النهاية، في شرح الحديث نفسه الذي شرحه البغوي، وأضاف الجزري: وقد تعاضدت الروايات في أحاديث الرؤيا بهذا العدد، وجاء في بعضها «من خمسة وأربعين جزءًا» ووجه ذلك أن عمره لم يكن قد استكمل ثلاثاً وستين، ومات في أثناء السنة الثالثة والستين، ونسبة نصف السنة إلى اثنتين وعشرين سنة وبعض الأخرى (مراده مدة النبوة) نسبة جزء من خمسة وأربعين. وفي بعض الروايات: «جزء من أربعين» ويكون محمولاً على من روى أن عمره كان ستين سنة، فيكون نسبة نصف إلى عشرين سنة كنسبة جزء إلى أربعين.

ونقل المجلسي في البحار عن الخطابي في أعلام الحديث، في شرح حديث الستة وأربعين أيضاً، أنه قال تعليقاً على ما قاله الجزري: هذا وإن كان وجهاً قد يحتمله الحساب والعدد، فإن أول ما يجب من الشرط فيه أن يثبت ما قاله من ذلك بخبر أو رواية، ولم نسمع فيه خبراً، ولا ذكر قائل هذه المقالة فيما بلغني عنه في ذلك أثراً، فهو كأنه ظن وحسبان، والظن لا يغني من الحق شيئاً. ولئن كانت هذه المدة محسوبة من أجزاء النبوة على ما ذهب إليه من هذه القسمة، لقد كان يجب أن يلحق بها سائر الأوقات التي كان يوحى إليه في منامه في تضاعيف أيام حياته، وأن تلتقط وتلفق وتزداد في أصل الحساب، وإذا صرنا إلى أصل هذه القضية بطلت هذه القسمة،

وسقط هذا الحساب من أصله، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في عدة أحاديث من روايات كثيرة أنه كان يرى الرؤيا المختلفة في أمور الشريعة، ومهمات أسباب الدين فيقصها على أصحابه، فكان يقول لهم إذا أصبح: من رأى منكم رؤيا؟ فيقصونها عليه. وقال لهم يوم أحد: رأيت في سيفي ثلمة، ورأيت كأني مردف كبشاً، فتأولت ثلمة السيف أنه يصاب في أصحابه، وأنه يقتل كبش القوم. ثم ذكر الخطابي رؤيا كثيرة، ثم قال: وهذه كلها بعد الهجرة، وأعلى هذه كلها ما نطق به الكتاب: من رؤيا الفتح في قوله عز وجل: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[1]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[2]، فدل ما ذكرناه من هذا، وما تركناه من هذا الباب على ضعف هذا التأويل. ونقول: إن هذا الحديث صحيح، وجملة ما فيه حق، وليس كل ما يخفى علينا علته لا تلزمنا حجته، وقد نرى أعداد ركعات الصلوات وأيام الصيام، ورمي الجمار محصورة في حساب معلوم، وليس يمكننا أن نصل من علمها إلى أمر يوجب حصرها تحت هذه الأعداد دون ما هو أكثر منها أو أقل فلم يكن ذهابنا عن معرفة ذلك قادحاً في موجب الاعتقاد منا في اللازم من أمرها. ومعنى الحديث تحقيق أمر الرؤيا وأنها مما كان الأنبياء يثبتونه ويحققونه، وأنها كانت جزءًا من أجزاء الذي كان يأتيهم والأنباء التي كان ينزل بها الوحي عليهم (انتهى كلام الخطابي).

فيكون الخطابي قد اختار ما اختاره البغوي.

(١) سورة الفتح، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

ونقل المجلسي عن بعض شراح البخاري، أنه قال: «الرؤيا جزء من النبوة» أي في حق الأنبياء فإنهم يوحى إليهم في المنام، وقيل: الرؤيا تأتي على وفق النبوة، لا أنها جزء باق منها، وقيل: هي من الإنباء، أي إنباء صدق من الله لا كذب فيه، ولا حرج في الأخذ بظاهره، فإن أجزاء النبوة لا تكون نبوة، فلا ينافي حينئذ «ذهبت النبوة». ثم رؤيا الكافر قد تصدق لكن لا يكون جزءًا منها، إذ المراد الرؤيا الصالحة من المؤمن الصالح جزءًا منها.

ونقل عن النووي في شرح صحيح المسلم، أنه قال: وجّه الطبري اختلاف الروايات في عدد ما هو جزء منه باختلاف حال الرائي بالصلاح والفسق. وقيل: باعتبار الخفي والجلي من الرؤيا. وقيل: إن للمنامات شبهاً بما حصل له وميز به من النبوة بجزء من ستة وأربعين[(١)].

وحول ربط ذلك بآخر الزمان كما يظهر من بعض الروايات:

قال العلامة المجلسي في البحار: لما غيب الله تعالى في آخر الزمان عن الناس حجتهم، تفضل عليهم وأعطاهم رأياً في استنباط الأحكام الشرعية مما وصل إليهم من أئمتهم عليهم السلام، ولما حجب عنهم الوحي وخزانه، أعطاهم الرؤيا الصادقة أزيد مما كان لغيرهم، ليظهر عليهم بعض الحوادث قبل حدوثها. وقيل: إنما يكون هذا في زمان القائم عليه السلام.

وقال المازندراني، تعليقاً على رواية الكافي المتقدمة في أول

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٥٨ ص ١٧٧.

هذه المجموعة: المراد برأي المؤمن فراسته الصادقة وإدراكاته الحقة، وبرؤياه رؤياه الصادقة وبآخر الزمان زمان غيبة المعصوم. قال: ويحتمل الأعم.

ثم نقل عن الفاضل الأمين الأسترآبادي، أنه قال: «المراد بالأول ما يخلق الله في قلبه من الصور العلمية في حال اليقظة، وبالثاني ما يخلق الله في قلبه حال النوم وكأن المراد بآخر الزمان زمان ظهور الصاحب عليه السلام فإن في بعض الأحاديث وقع التصريح بأن في زمن ظهوره عليه السلام يجمع الله قلوب المؤمنين على الصواب في كل باب ولفظة «على» ههنا نهجية أي على نهج سبعين جزءًا يعني يكونان مثل الوحي موافقاً للواقع دائماً وهما نوع من الوحي يتفضل الله به في زمن ظهور المهدي عليه السلام»[١] انتهى كلام الاسترآبادي.

ثم قال المازندراني فالمراد بآخر الزمان زمان ما بعد ظهور الإمام عليه السلام ولا أقل من كونه محتملاً فليس لكل واحد منا أن يستدل بأن رؤيا المؤمن في هذا الزمان هي جزء من أجزاء النبوة باعتبار أننا في آخر الزمان، لأن كوننا في آخر الزمان مجهول لنا.

ثم نقل المازندراني عن محيي الدين البغوي، أنه قال: فسر أبو داود تقارب الزمان[٢] باعتدال الليل والنهار ووجه ذلك باعتدال الأمزجة حينئذ فلا تكون في المنام أضغاث أحلام، فإن موجب التخليط إنما هو غلبة خلط على المزاج وفسره غيره بقرب القيامة،

(١) شرح أصول الكافي ج ١١ ص ٤٧٦.

(٢) ورد في بعض الأخبار عن النبي ﷺ قال: إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب، وأصدقهم رؤيا أصدقهم حديثاً. راجع أمالي الطوسي ص ٣٨٦: ٨٤٣.

ويشهد للثاني أن هذا الخبر جاء من طريق أبي هريرة أنه قال: «في آخر الزمان لا تكذب رؤيا المؤمن». وقال القرطبي: المراد بآخر الزمان الزمان الذي فيه الطائفة التي تبقى مع عيسى عليه السلام بعد قتل الدجال يبقى سبع سنين ليس بين اثنين عداوة فهم أحسن الأمة حالاً وأصدقهم قولاً وكانت رؤياهم لا تكذب، وقد قال ﷺ: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً» ورد ابن العربي التفسير الأول بأنه لا أثر لاعتدال الزمان في صدق الرؤيا إلا على ما يقوله الفلاسفة من اعتدال الأمزجة حينئذ، ثم إنه وإن كان هذا في الاعتدال الأول لكن في الاعتدال الثاني حين تحل الشمس برأس الميزان الأمر بالعكس لأنه يسقط حينئذ الأوراق ويتغلس الماء عن الثمار، ثم قال: والصحيح التفسير الثاني لأن القيامة هي الحاقة التي تحق فيها الحقائق فكل ما قرب منها فهو أخص بها. وقال الآبي: فسره بعض الشافعية بثالث هو من قوله ﷺ: «يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة» قالوا: وذلك عند خروج المهدي عليه السلام وهو زمان يقصر وتتقارب أجزاؤه للاستلذاذ به هذا كلامهم، ثم إنه لا بد هنا من بيان شيئين أحدهما بيان السبب لكون رؤيا المؤمن جزء من أجزاء النبوة، وثانيهما بيان السبب لهذه النسبة المخصوصة أعني كونها جزءًا من سبعين جزءًا، أما الأول فنقول: الرؤيا الصادقة من المؤمن الصالح جزء من أجزاء النبوة لما فيها من الإعلام الذي هو على معنى النبوة على أحد الوجهين. وقد قال كثير من الأفاضل إن للرؤيا الصادقة ملكاً وكل بها يري الرائي من ذلك ما فيه من تنبيه على ما يكون له أو يقدر عليه من خير أو شر، وهذا معنى النبوة لأن لفظ النبي قد يكون فعيلاً بمعنى مفعول أي يعلمه الله

تعالى ويطلعه في منامه من غيبه ما لا يظهر عليه أحد إلا من ارتضى من رسول، وقد يكون بمعنى فاعل كعليم أي يعلم غيره بما ألقى إليه وهذا أيضاً صورة صاحب الرؤيا. وقال القرطبي: الرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة إلا إذا وقعت من مسلم صالح صادق لأنه الذي يناسب حاله حال النبي، وكفى بالرؤيا شوقاً أنها نوع مما أكرمت به الأنبياء وهو الاطلاع على شيء من علم الغيب كما قال ﷺ «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة يراها الرجل المسلم» وأما الكافر والكاذب والمخلط وإن صدقت رؤياهم في بعض الأحيان فإنها لا تكون من الوحي ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره نبوة بدليل الكاهن والمنجم فإن أحدهم قد يحدث ويصدق لكن على الندرة، وكذلك الكافر قد تصدق رؤياه كرؤيا العزيز سبع بقرات ورؤيا الفتيان في السجن ورؤيا عاتكة عمة رسول الله ﷺ وهي كافرة ولكن ذلك قليل بالنسبة إلى مناماتهم المخلطة الفاسدة. وأما الثاني فقيل: يحتمل أن تكون هذه التجزية من طريق الوحي منه ما سمع من الله تعالى بدون واسطة كما قال تعالى ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ ومنه ما سمع بواسطة الملك، زمنه ما يلقى في القلب كما قال تعالى: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ أي الإلهام، ومنه ما يأتي معه الملك وهو على صورته، ومنه ما يأتيه به وهو على صورة آدمي، ومنه ما يأتيه في منامه بحقيقته، ومنه ما يأتيه بمثال أحياناً يسمع الصوت ويرى الضوء، ومنه ما يأتي به كصلصلة الجرس ومنه ما يلقيه روح القدس في روعه إلى غير ذلك مما وقفنا عليه ومما لم نقف ويكون مجموع الطرق سبعين فتكون الرؤيا التي هي ضرب مثال جزءًا من ذلك العدد من أجزاء الوحي. والحاصل أن للنبي طرق إلى العلم

وإحدى تلك الطرق الرؤيا ونسبتها إلى تلك الطرق أنها جزء من سبعين ولا يلزم أن نبين تلك الأجزاء لأنه لا يلزم العلماء أن يعلموا كل شيء جملة وتفصيلاً وقد جعل الله سبحانه لهم في ذلك حداً يوقف عنده فمنها ما لا يعلم أصلاً ومنها ما يعلم جملة ولا يعلم تفصيلاً وهذا منه، ومنها ما يعلم جملة وتفصيلاً لا سيما فيما طريقه السمع وبينه الشارع. وقيل: مجموع خصال النبوة سبعون وإن لم نعلمها تفصيلاً، ومنها الرؤيا والمنام الصادق من المؤمن خصلة واحدة لها هذه النسبة مع تلك الخصال، ويحتمل أن يكون المراد أن ثمرة رؤيا المؤمن أعني الإخبار بالغيب في جنب فوائدها المقصودة يسيرة نسبتها إلى ما أطلعه الله تعالى على نبيه من فوائدها بذلك القدر لأنه يعلم من فوائد مناماته بنور نبوته ما لا نعلمه من حقائق مناماتنا وأن يكون المراد أن دلالة رؤيا المؤمن على الإخبار بالغيب جزء من دلالة رؤيا النبي ﷺ والنسبة بذلك القدر، لأن المنامات إنما هي دلالات والدلالات منها خفي ومنها جلي، والخفي له نسبة مخصوصة مع الجلي في نفس الأمر، فبينها عليه السلام بأنها بذلك القدر والفرق بين هذين الوجهين أن الأول منهما باعتبار التفاوت في الثمرات والثاني باعتبار التفاوت في الدلالات والمراد بأجزاء النبوة فيهما أجزاء رؤيا النبي ﷺ وليس المراد بها جميع أجزاء النبوة. وهذا وإن كان بعيداً بحسب اللفظ لكنه غير مستبعد بحسب الواقع، إذ الظاهر أن خصال النبوة غير منحصرة في السبعين ومن طريق العامة أيضاً «إن رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من أجزاء النبوة» فقيل في توجيهه: إن ذلك باعتبار مدة النبوة لأن النبي أقام يوحى إليه ثلاثاً وعشرين سنة ثلاث عشرة بمكة وعشراً بالمدينة وكان قبل ذلك نسبة

أشهر يرى في المنام ما يلقي إليه الملك، ونسبة نصف سنة من ثلاثٍ وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين.

أقول:

سواء كان المقصود بالرؤيا رؤيا المنام، أو الكشف الأعم من الحاصل حال النوم أو حال اليقظة، فإنها التوفيق الذي يناله العبد مما آتاه الله. ويمكن فهم اعتبارها جزءً من أجزاء من النبوة، فإن النبوة وإن كانت عبارة عن مراتب من الكمالات، ومجموعة خصال إلا أن هذا لا يعني أن تكون كل تلك الخصال والكمالات من مختصات الأنبياء. فمن الأنبياء من يأتيه الوحي حال النوم من خلال رؤيا يراها النبي النائم. وهذا نحو كشف حقيقي، فكل ما كان قريباً منه كان من مراتبه، فتكون الرؤيا الصادقة التي يراها المؤمن من مراتب ذلك الكمال الذي يملكه النبي. وهي بهذا الاعتبار تكون من أجزاء النبوة. مع فارق أن الرؤيا الصادقة لا تشريع فيها ولا إنباء من الله تعالى، ولا أثر لها إلهي يطلب تبليغه للناس كي يخبر الرائي بما يراه. فلا ضرورة للتهرب من هذا التشابه أو التسانخ الذي أظهرته الروايات، خاصة وأن بعض الروايات صريحة في خلاف ما ذكره المفسرون، فكون رؤيا المؤمن الصادقة جزء من أجزاء من النبوة ينافي القول بأن تلك الجزئية خاصة برؤى الأنبياء عليهم السلام. كما أن التحلي بجزء منها لا يوجب أن يكون المتحلي نبيًا.

أما التعبير بآخر الزمان، فربما يكون حكاية عن الزمان المقارب لصاحب العصر والزمان، ويكون المقصود أن التسديد والتوفيق في الرؤى الصادقة يكون أكثر من أي زمن مضى، لا أن كونها من أجزاء

النبوة من مختصات آخر الزمان، فإن ما يكون كذلك سيكون كذلك دائماً في أي زمان.

المجموعة الخامسة:

وهي مجموعة مهمة في هذا الباب، تؤكد على حقانية عالم الرؤيا في الجملة، وهي روايات أبرزت اهتمام المعصومين عليهم السلام بتعبير الرؤى، وبيان شروطه، وشروط المعبر، وهي روايات كثيرة سنذكر نماذج منها بدون أي تعليق، إلا ما ندر:

منها: ما رواه الشيخ الصدوق، عن الإمام الحسين عليه السلام، أثناء سيره إلى الكوفة، أنه سار حتى نزل العذيب فقال فيها قائلة الظهيرة ثم انتبه من نومه باكياً فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبه؟ فقال: يا بني إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها، وإنه عرض لي في منامي عارض فقال: تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنة[١].

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن عبد الله بن منصور قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن مقتل الحسين ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: حدثني أبي، عن أبيه، وساق الحديث الطويل في قصة كربلاء وسفره عليه السلام إلى العراق إلى أن قال: فهمَّ بالخروج من أرض الحجاز إلى أرض العراق فلما أقبل الليل راح إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ليودع القبر، فقام يصلي فأطال، فنعس وهو ساجد، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وهو في منامه، فأخذ الحسين عليه السلام وضمه إلى صدره وجعل يقبل عينيه ويقول: بأبي أنت، كأني أراك مرملاً

(١) الأمالي ـ الشيخ الصدوق ص ٢١٨.

بدمك بين عصابة من هذه الأمة يرجون شفاعتي! ما لهم عند الله من خلاق. يا بني إنك قادم على أبيك وأمك وأخيك وهم مشتاقون إليك، وإن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة. فانتبه الحسين عليه السلام من نومه باكياً، فأتى أهل بيته فأخبرهم بالرؤيا وودعهم ـ وساق إلى أن قال ـ: ثم سار حتى نزل العذيب، فقال فيها قائلة الظهيرة، ثم انتبه من نومه باكياً فقال له ابنه: ما يبكيك يا أبه؟ فقال: يا بني إنها ساعة لا تكذب الرؤيا فيها، وإنه عرض لي في منامي عارض فقال: «تسرعون السير والمنايا تسير بكم إلى الجنة» (الحديث)[1].

ومنها: ما رواه الحاكم أبي عبد الله بإسناده عن أبي حبيب النباجي قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام وقد وافى النباج ونزل في المسجد الذي ينزله الحجاج في كل سنة، وكأني مضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه، فوجدت عنده طبقاً من خوص نخل المدينة فيه تمر صيحاني، وكأنه قبض قبضة من ذلك التمر فناولني، فعددته فكان ثماني عشرة، فتأولت أني أعيش بعدد كل تمرة سنة. فلما كان بعد عشرين يوماً كنت في أرض تعمر بين يدي للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن الرضا عليه السلام من المدينة ونزوله ذلك المسجد، ورأيت الناس يسعون إليه فمضيت نحوه، فإذا هو جالس في الموضع الذي كنت رأيت فيه النبي ﷺ وتحته حصير مثل ما كان تحته وبين يديه طبق من خوص فيه تمر صيحاني، فسلمت عليه فرد عليَّ السلام، واستدعاني فناولني قبضة من ذلك التمر، فعددته فإذا عدده مثل ذلك العدد الذي ناولني رسول الله ﷺ فقلت

---

(١) الأمالي ـ الشيخ الصدوق ص ٢١٨.

له: زدني منه يا ابن رسول الله. فقال: «لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك»[١].

ومنها: ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها، وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولا يخبر بها»[٢].

ومنها: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر، فإذا عبرت وقعت ولا تقصها إلا على واد وذي رأي».

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا لا تقص إلا على مؤمن خلا من الحسد والبغي».

ومنها: ما روي عنه ﷺ أنه قال: «لا تقص الرؤيا إلا على عالم أو ناصح».

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن الحسن بن الجهم قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: الرؤيا على ما تعبر. فقلت له: إن بعض أصحابنا روى أن رؤيا الملك كانت أضغاث أحلام. فقال أبو الحسن عليه السلام: إن امرأة رأت على عهد رسول الله ﷺ أن جذع بيتها انكسر، فأتت رسول الله ﷺ، فقصت عليه الرؤيا. فقال لها النبي ﷺ: يقدم زوجك، ويأتي وهو صالح، وقد كان زوجها غائباً. فقدم كما قال النبي ﷺ، ثم غاب عنها زوجها غيبة أخرى، فرأت في المنام كأن جذع بيتها قد انكسر، فأتت النبي ﷺ، فقصت

---

(١) أعلام الورى للطبرسي ج ٢ ص ٥٤.

(٢) الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، ج١، ص٩٥.

عليه الرؤيا. فقال لها: يقدم زوجك ويأتي صالحاً، فقدم على ما قال، ثم غاب زوجها ثالثة، فرأت في منامها أن جذع بيتها قد انكسر، فلقيت رجلاً أعسر فقصت عليه الرؤيا، فقال لها الرجل السوء: يموت زوجك، فبلغ النبي ﷺ فقال: ألا كان عبر لها خيراً؟!

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن معمر بن خلاد قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ربما رأيت الرؤيا فأعبرها، والرؤيا على ما تعبر.

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام أن رسول الله ﷺ كان يقول: «إن رؤيا المؤمن ترف بين السماء والأرض على رأس صاحبها حتى يعبرها لنفسه أو يعبرها له مثله، فإذا عبرت لزمت الأرض فلا تقصوا رؤياكم إلا على من يعقل».

ومنها: ما رواه الكليني بسند لا بأس به عن زرارة، عن أحدهما عليهما السلام قال: أصبح رسول الله يوماً كئيباً حزيناً، فقال له علي عليه السلام: ما لي أراك يا رسول الله كئيباً حزيناً؟ فقال ﷺ: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني فلان وبني فلان وبني أمية يصعدون منبري هذا يردون الناس عن الإسلام القهقرى؟! فقلت: يا رب في حياتي أو بعد موتي؟ فقال: بعد موتك.

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية يصعدون على منبره من بعده ويضلون الناس عن الصراط القهقرى: فأصبح كئيباً حزيناً، قال: فهبط عليه جبرائيل عليه السلام فقال: يا رسول الله ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ قال: يا

جبرائيل إني رأيت بني أمية في ليلتي هذه يصعدون منبري من بعدي يضلون الناس عن الصراط القهقرى، فقال: والذي بعثك بالحق نبيًا إن هذا شيء ما اطلعت عليه، فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يؤنسه بها قال: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ وأنـزل عـلـيـه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾ جعل الله عز وجل ليلة القدر لنبيه ﷺ خيراً من ألف شهر ملك بني أمية.

ومنها: ما رواه الكليني بسند لا بأس به عن أبي بصير أنه قال لأبي عبد الله عليه السلام: الفرق من السنة؟ قال عليه السلام: لا. قلت: هل فرق رسول الله ﷺ؟ قال عليه السلام: نعم. قلت: كيف ذلك؟ قال: إن رسول الله ﷺ حين صد عن البيت وقد كان ساق الهدي وأحرم، أراه الله الرؤيا التي أخبر الله في كتابه إذ يقول: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾، فعلم رسول الله ﷺ أنه سيفي له بما أراه، فمن ثم وفر ذلك الشعر الذي كان على رأسه حين أحرم انتظاراً لحلقه في الحرم حيث وعده الله عز وجل، فلما حلقه لم يعد توفير الشعر ولا كان ذلك من قبله.

ومنها: ما رواه الكليني بسند معتبر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن رجلاً كان على أميال من المدينة، فرأى في منامه: فقيل له: انطلق فصلِّ على أبي جعفر، فإن الملائكة تغسله في البقيع. فجاء الرجل فوجد أبا جعفر عليه السلام قد توفي.

ومنها: ما رواه في قرب الإسناد بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من رأى أنه في الحرم وكان خائفاً أمن.

ومنها: ما رواه البرقي في المحاسن بسنده عن داود، عن أخيه عبد الله قال: بعثني إنسان إلى أبي عبد الله عليه السلام زعم أنه يفزع في منامه من امرأة تأتيه. قال: فصحت حتى سمع الجيران. فقال أبو عبد الله عليه السلام: اذهب فقل: إنك لا تؤدي الزكاة. قال: بلى والله إني لأؤديها. فقال: قل له: إن كنت تؤديها، لا تؤديها إلى أهلها.

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن ياسر الخادم قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: رأيت في النوم كأن قفصاً فيه سبع عشرة قارورة، إذ وقع القفص فتكسرت القوارير. فقال: إن صدقت رؤياك يخرج رجل من أهل بيتي يملك سبعة عشر يوماً ثم يموت. فخرج محمد بن إبراهيم بالكوفة مع أبي السرايا، فمكث سبعة عشر يوماً ثم مات.

ويلاحظ قوله عليه السلام للرائي: إن صدقت رؤياك، أي لم تكن من الأضغاث. وهذا التشكيك إنما هو لبيان أن الرؤيا الصادقة لا يحكم عليها بالصدق من مجرد مضمونها. قال في البحار: و«محمد بن إبراهيم» هو طباطبا بايعه أولاً أبو السرايا وخرج، ولما مات بايع محمد بن محمد بن زيد وقال الطبري في تاريخه كان اسم أبي السرايا «سري بن منصور» وكان من أولاد هاني بن قبيصة الذي عصى على كسرى ابرويز، وكان أبو السرايا من أمراء المأمون ثم عصى في الكوفة على أمير العراق وبايع محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام ثم أرسل إليه حسن بن سهل أمير العراق جنداً فقاتلوه وأسر وقتل.

ومنها: ما رواه الكشي بسنده عن ياسر الخادم قال: إن أبا الحسن الثاني عليه السلام أصبح في بعض الأيام، قال: فقال لي: رأيت البارحة مولى لعلي بن يقطين وبين عينيه غرة بيضاء فتأولت ذلك على الدين.

ومنها: ما رواه الكليني بسند صحيح عن ابن أذينة، أن رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: رأيت كأن الشمس طالعة على رأسي دون جسدي. فقال: تنال أمراً جسيماً، ونوراً ساطعاً، وديناً شاملاً، فلو غطتك لانغمست فيه، ولكنها غطت رأسك. أما قرأت ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾[1] فلما أفلت تبرأ منها إبراهيم عليه السلام. قال: قلت: جعلت فداك إنهم يقولون إن الشمس خليفة أو ملك. فقال: ما أراك تنال الخلافة، ولم يكن في آبائك وأجدادك ملك، وأي خلافة وملوكية أكثر من الدين والنور ترجو به دخول الجنة، إنهم يغلطون. فقلت: صدقت جعلت فداك.

ومن قوله عليه السلام للرجل: «ولم يكن في آبائك» يفهم أن تعبير الرؤيا يرتبط أيضاً بحال الشخص. قال في البحار: ويحتمل أن يكون الغرض بيان خطأ أصل تعبيرهم بأن ذلك غير محتمل لا أنه لا يستقيم في خصوص تلك المادة.

ومنها: ما رواه الكليني بنفس السند السابق عن ابن أذينة، أن رجلاً رأى كأن الشمس طالعة على قدميه دون جسده. قال عليه السلام: مال يناله من نبات الأرض من بر أو تمر يطؤه بقدميه ويتسع فيه وهو حلال إلا أنه يكد فيه كما كد آدم عليه السلام.

---

(١) سورة الأنعام الآية ٧٨.

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة، فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة. فقال: يا ابن مسلم هاتها.. فقلت: رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت عليّ فكسرت جوزاً كثيراً ونثرته عليَّ، فتعجبت من هذه الرؤيا.. فقلت له فما تأويلها؟ قال: يا ابن مسلم إنك تتمتع بامرأة فتعلم بها أهلك فتخرق عليك ثياباً جدداً، فإن القشر كسوة اللب. قال ابن مسلم: فوالله ما كان بين تعبيره وتصحيح الرؤيا إلا صبيحة الجمعة، فلما كان غداة الجمعة أنا جالس بالباب إذ مرت بي جارية فأمرت غلامي فردها ثم أدخلها داري فتمتعت بها، فأحست بي وبها أهلي، فدخلت علينا البيت، فبادرت الجارية نحو الباب فبقيت أنا، فمزقت عليَّ ثياباً جدداً كنت ألبسها في الأعياد.

ومنها: ما رواه الكليني أن موسى الزوار العطار جاء إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله رأيت رؤيا هالتني: رأيت صهراً لي ميتاً وقد عانقني، وقد خفت أن يكون الأجل قد اقترب. فقال: يا موسى توقع الموت صباحاً ومساء فإنه ملاقينا، ومعانقة الأموات للأحياء أطول لأعمارهم، فما كان اسم صهرك؟ قال: حسين، فقال: أما إن رؤياك تدل على بقائك وزيارتك أبا عبد الله عليه السلام، فإن كل من عانق سمي الحسين عليه السلام يزوره إن شاء الله تعالى.

ومنها: ما رواه الكليني أن إسماعيل بن عبد الله القرشي قال: أتى إلى أبي عبد الله عليه السلام رجل فقال: يا ابن رسول الله، رأيت في منامي كأني خارج من مدينة الكوفة في موضع أعرفه، وكأن شيخاً من

خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب على فرس من خشب يلوح بسيفه وأنا أشاهده فزعاً مذعوراً مرعوباً. فقال عليه السلام: أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته، فاتق الله الذي خلقك ثم يميتك. فقال الرجل: أشهد أنك قد أوتيت علماً واستنبطته من معدنه، أخبرك يا ابن رسول الله عما قد فسرت لي: إن رجلاً من جيراني جاءني وعرض عليَّ ضيعته، فهممت أن أملكها بوكس كثير لما عرفت أنه ليس لها طالب غيري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وصاحبك يتولانا ويبرأ من عدونا؟ فقال: نعم، يا ابن رسول الله، رجل البصيرة مستحكم الدين، وأنا تائب إلى الله عز وجل وإليك مما هممت به ونويته. فأخبرني يا ابن رسول الله لو كان ناصبياً حل لي اغتياله؟ فقال: أد الأمانة لمن ائتمنك وأراد منك النصيحة، ولو إلى قاتل الحسين عليه السلام.

ومنها: ما رواه الكليني بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: رأيت كأني على رأس جبل والناس يصعدون إليه من كل جانب، حتى إذا كثروا عليه تطاول بهم في السماء وجعل الناس يتساقطون عنه من كل جانب حتى لم يبق منهم أحد إلا عصابة يسيرة، ففعل ذلك خمس مرات في كل ذلك يتساقط عنه الناس وتبقى تلك العصابة أما إن قيس بن عبد الله بن عجلان في تلك العصابة. فما مكث بعد ذلك إلا نحواً من خمس حتى هلك.

ورواه الكشي بإضافة هي: ما إن ميسر بن عبد العزيز وعبد الله بن عجلان في تلك العصابة، فما مكث بعد ذلك إلا نحواً من سنتين حتى هلك عليه السلام وقيس غير مذكور في كتب الرجال.

ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن إبراهيم الكرخي قال:

قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: إن رجلاً رأى ربه عز وجل في منامه فما يكون ذلك؟ فقال: ذلك رجل لا دين له، إن الله تبارك وتعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة.

ومنها: ما روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه أتى النبي ﷺ رجل وهو يخطب فقال: يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم البارحة كأن عنقي ضربت فسقط رأسي فاتبعته فأخذته ثم أعدته مكانه. فقال رسول الله ﷺ: «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدثن به الناس».

ومنها: ما روي عن أبي سلمة قال: كنت أرى الرؤيا فيهمني، حتى سمعت أبا قتادة يقول: كنت أرى الرؤيا فيمرضني حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول: الرؤيا الصالحة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتفل عن يساره وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شر ما رأى فإنها لن تضره.

ومنها: ما روي عن أبي رزين قال: قال رسول الله ﷺ: الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، وهي على رجل طائر فإذا حدثت بها وقعت، وأحسبه قال: لا تحدث بها إلا حبيباً أو لبيباً. وفي رواية أخرى: الرؤيا على رجل طائر ما لم يعبر، فإذا عبرت وقعت، قال: وأحسبه قال: ولا تقصها إلا على واد أو ذي رأي.

قال بعض شراح الحديث: الوأد لا يحب أن يستقبلك في تفسيرها إلا بما تحب، وإن لم يكن عالماً بالعبارة لم يعجل لك بما يغمك. وأما ذو الرأي فمعناه ذو العلم بعبارتها، فهو يخبرك بحقيقة

تفسيرها أو بأقرب مما تعلم منها، ولعله أن يكون في تفسيرها موعظة يردعك عن قبيح ما أنت عليه، أو يكون فيها بشرى فتشكر الله عليها.

ومنها: ما روي عن أبي أيوب أن النبي ﷺ قال: إن الرؤيا تقع على ما عبر، ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها، وإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا ناصحاً أو عالماً.

ونختم هذا البحث بإشارة، إلى أن بعض الناس قد يشكو من قلة المنامات بعد أن يكون قد سمع أن الرؤيا الصادقة جزء من أجزاء من النبوة، وإنها من المبشرات، فيظن أنه حرم من بعض التوفيق. وهو وإن كان كذلك في بعض الأحيان، لكنه ليس كذلك دائماً، فعن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا يحزن أحدكم أن ترفع عنه الرؤيا فإنه إذا رسخ في العلم رفعت عنه الرؤيا».

البحث الرابع:

في الأثر الشرعي للمنامات، بحسب أقوال العلماء أيضاً

مع علماء الإمامية:

المشهور المعروف أن لا أثر للمنامات على المستوى الشرعي، وبهذا صرح جمع من علماء الإمامية، مثل ما أجاب به السيد الخوئي عن بعض الاستفتاءات التي جاء فيها، : لم يثبت الحجية بنفس الرؤيا والأمر فيها. كان ذلك جواباً عن سؤال: إذا رأى مؤمن في منامه النبي ﷺ أو أحد الأئمة عليهم السلام وهم يأمرونه بشيء فهل يكون قولهم في المنام حجة يجب امتثاله، فهم القائلون بأن من رآهم فقد رآهم حقًّا فإن الشيطان لا يتمثل بهم؟[1].

وجاء من حكايات الشيخ المفيد أنه قال: كان يختلف إليّ حدث من أولاد الأنصار ويتعلم الكلام فقال لي يوماً: اجتمعت البارحة مع الطبراني شيخ من الزيدية. فقال لي: أنتم يا معشر الإمامية حنبلية

(١) صراط النجاة ج ١ ص ٤٦٨.

وأنتم تستهزئون بالحنبلية، فقلت له: وكيف ذلك؟ فقال: لأن الحنبلية تعتمد على المنامات وأنتم كذلك، والحنبلية تدعي المعجزات لأكابرها وأنتم كذلك، والحنبلية ترى زيارة القبور والاعتكاف عندها وأنتم كذلك فلم يكن عندي جواب أرتضيه، فما الجواب؟ قال الشيخ أدام الله عزه: فقلت له: ارجع إليه فقل له: قد عرضت ما ألقيته إليَّ على فلان فقال لي: قل له إن كانت الإمامية حنبلية بما وصفت أيها الشيخ فالمسلمون بأجمعهم حنبلية والقرآن ناطق بصحة الحنبلية وصواب مذاهب أهلها، وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ۝٤ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥﴾[1] فأثبت الله جل اسمه المنام وجعل له تأويلاً عرفه أولياؤه عليهم السلام وأثبتته الأنبياء ودانت به خلفاؤهم وأتباعهم من المؤمنين واعتمدوه في علم ما يكون، وأجروه مجرى الخبر مع اليقظة وكالعيان له. وقال سبحانه: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2] فنبأهما عليه السلام بتأويله وذلك على تحقيق منه لحكم المنام، وكان سؤالهما له مع جهلهما بنبوته دليلاً على أن المنامات حق عندهم، والتأويل لأكثرها صحيح إذا وافق معناها، وقال عز اسمه: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٤ ـ ٥. (٢) سورة يوسف، الآية: ٣٦.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1] ثم فسرها يوسف عليه السلام وكان الأمر كما قال. وقال تعالى في قصة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[2] فأثبتا عليهما السلام الرؤيا وأوجبا الحكم ولم يقل إسماعيل لأبيه عليه السلام يا أبت لا تسفك دمي برؤيا رأيتها، فإن الرؤيا قد تكون من حديث النفس وأخلاط البدن وغلبة الطباع بعضها على بعض كما ذهبت إليه المعتزلة. فقول الإمامية في هذا الباب ما نطق به القرآن، وقول هذا الشيخ هو قول الملأ من أصحاب الملك حيث قالوا: (أضغاث أحلام) ومع ذلك فإنا لسنا نثبت الأحكام الدينية من جهة المنامات وإنما نثبت من تأويلها ما جاء الأثر به عن ورثة الأنبياء عليهم السلام... ثم قلت له: يجب أن تعلم أن الذي حكيت عنه قد حرف القول وقبحه ولم يأت به على وجهه، والذي نذهب إليه في الرؤيا أنها على أضرب. فضرب منه يبشر الله به عباده ويحذرهم وضرب تهويل من الشيطان وكذب يخطر ببال النائم، وضرب من غلبة الطباع بعضها على بعض، ولسنا نعتمد على المنامات كما حكاه لكننا نأنس بما نبشر به، ونتخوف مما نحذر منها ومن وصل إليه شيء من علمها عن ورثة الأنبياء عليهم السلام ميز بين حق تأويلها وباطله ومتى لم يصل إليه شيء من ذلك كان على الرجاء والخوف. وهذا يسقط ما لعله سيتعلق

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٤٣ ـ ٤٤.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

به في منامات الأنبياء ﷺ من أنها وحي لأن تلك مقطوع بصحتها وهذه مشكوك فيها مع أن منها أشياء قد اتفق ذوو العادات على معرفة تأويلها حتى لم يختلفوا فيه ووجدوه حسناً. وهذا الشيخ لم يقصد بكلامه الإمامية ولكنه قصد الأمة ونصر البراهمة والملحدة، مع أني أعجب من هذه الحكاية عنه وأنا أعرفه يميل إلى مذهب أبي هاشم ويعظمه ويختاره، وأبو هاشم يقول في كتابه «المسألة في الإمامة»: إن أبا بكر رأى في المنام كأن عليه ثوباً جديداً عليه رقمان ففسره على النبي ﷺ فقال له إن صدقت رؤياك تبشر بخير وتلي الخلافة سنتين، فلم يرض شيخه أبو هاشم أن أثبت المنامات حتى أوجب بها الخلافة وجعلها دلالة على الإمامة، فيجب على قول هذا الشيخ الزيدي عند نفسه أن يكون أبو هاشم رئيس المعتزلة عنده حنبلياً بل يكون عنده أبو بكر حنبلياً بل رسول الله ﷺ لأنه صحح المنام وأوجب به الأحكام، وهذا من بهرج المقال[1].

وحكى الكراجكي عن الشيخ المفيد أنه قال: وقد كان شيخي رحمه الله يقول: إذا جاز من بشر أن يدعي في اليقظة أنه إله كفرعون ومن جرى مجراه مع قله حيلة البشر وزوال اللبس في اليقظة فما المانع من أن يدعي إبليس عند النائم بوسوسته له أنه نبي مع تمكن إبليس بما لا يتمكن منه البشر وكثرة اللبس المعترض في المنام ومما يوضح لك أن من المنامات التي يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم منها ما هو حق ومنها ما هو

(١) الفصول المختارة ـ الشيخ المفيد ص ١٢٨.

باطل إنك ترى الشيعي يقول رأيت في المنام رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يأمرني بالاقتداء به دون غيره ويعلمني أنه خليفته من بعده، وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه، وينهاني عن موالاتهم ويأمرني بالبراءة منهم ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة ثم ترى الناصبي يقول رأيت رسول الله ﷺ في النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرني بمحبتهم وينهاني عن بغضهم ويعلمني أنهم أصحابه في الدنيا والآخرة وأنهم معه في الجنة ونحو ذلك مما يختص بمذهب الناصبة فتعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه وليس يمكن للشيعي أن يقول للناصبي إنك كذبت في قولك إنك رأيت رسول الله ﷺ لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا بعينه وقد شاهدنا ناصبياً تشيع وأخبرنا في حال تشيعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه في حال نصبه فبان بذلك أن أحد المنامين باطل وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك وأن المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعيد عن المعنى المتقدم وصفه، وقولنا في المنام الصحيح إن الإنسان إذا رأى في نومه النبي ﷺ إنما معناه أنه كان قد رآه وليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي وأي بصر يدرك به حال نومه، ، وإنما هي معان تصورت في نفسه تخيل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم وليس هذا بمناف للخبر الذي روي من قوله من رآني فقد رآني لأن معناه فكأنما رآني وليس بغلط في هذا المكان إلا عند من

ليس له من عقله اعتبار[١].

وعن العلامة الحلي أنه سئل: ما يقول سيدنا فيمن رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله أو بعض الأئمة عليهم السلام وهو يأمره بشيء وينهاه عن شيء؟ هل يجب عليه امتثال ما أمره به أو اجتناب ما نهاه عنه أم لا يجب ذلك؟ مع ما صح عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من رآني في منامه فقد رآني فإن الشيطان لم يتمثل بي». وغير ذلك من الأحاديث. وما قولكم لو كان ما أمر به أو نهى عنه على خلاف ما في أيدي الناس من ظاهر الشريعة؟ هل بين الحالين فرق أم لا؟ أفتنا في ذلك مبيناً، جعل الله كل صعب عليك هيناً.

فأجاب (نور الله ضريحه): أما ما يخالف الظاهر فلا ينبغي المصير إليه، وأما ما يوافق الظاهر فالأولى المتابعة من غير وجوب، لأن رؤيته عليه السلام سلام لا يعطي وجوب الاتباع في المنام[٢].

وقال المحقق القمي: قيل إن الحكم الذي حكم به المعصوم عليه السلام في الرؤيا حجة، لما ورد من أن من رآه فقد رآه، وأن الشيطان لا يتمثل به. ورد بأنه فرع أن يعرفه بصورته في اليقظة حتى يصدق عليه أنه رآه، فلا يتم الإطلاق. وأجيب بأنه ورد أنه رأى أحد رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام في زمان مولانا الرضا عليه الصلاة والسلام، فقال هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن رآه فقد رآه. ومن المعلوم أن الرائي لم يره صلى الله عليه وآله. ويدفعه أن كثيراً ما نرى في المنام صورتهم ويظهر في اليقظة أنه كان عالماً صالحاً رُئي بصورته إظهاراً لجلالته،

(١) كنز الفوائد ـ أبو الفتح الكراجكي ص ٢١٠.
(٢) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٥٨ ص ٢٣٨.

كما في حكاية رؤيا المفيد رحمه الله حيث رأى في المنام فاطمة الزهراء عليها السلام والحسنين عليهما السلام معها، قالت له في المنام: يا شيخ علمهما الفقه. فجاءت في يومه والدة السيدين المرتضى والرضي رحمهما الله بهما، وقالت: يا شيخ علمهما الفقه. وكيف كان فالاعتماد مشكل سيما إذا خالف الأحكام الشرعية الواصلة إلينا، مع أن ترك الاعتماد مطلقاً حتى فيما لو لم يخالفه شيء أيضاً مشكل سيما إذا حصل الظن بصحته، وخصوصاً لمن كان أغلب رؤياه صادقة، سيما بملاحظة ما رواه الكليني رحمه الله في الحسن لإبراهيم بن هاشم، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: رأي المؤمن ورؤياه في آخر الزمان على سبعين جزء من أجزاء النبوة. وفي الصحيح عن معمر بن خلاد عن الرضا عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا أصبح، قال لأصحابه: هل من مبشرات، يعني به الرؤيا. وفي معناه روايات أخر[1].

وقد وافق المحقق البحراني على عدم الحجية الشرعية لرؤية المعصومين عليهم السلام في المنامات مع أنه يفسر «من رآنا فقد رآنا» بالرؤية على سبيل الحقيقة، قال: هل يكون ما يراه الرائي ويسمعه من فعله عليه السلام وقوله حجة في الأحكام الشرعية أم لا؟ لم أقف لأحد في ذلك على كلام إلا لشيخنا العلامة أجزل الله تعالى إكرامه في أجوبة مسائل السيد السعيد مهنا بن سنان المدني.. ولا يخفى ما في كلام السائل والمسؤول من التأييد لما قدمناه من كون رؤيته صلى الله عليه وآله في المقام رؤية حقيقية لا أنها عبارة عن مجرد حصول الصورة في الحس

(١) قوانين الأصول ـ الميرزا القمي ص ٤٩٥.

المشترك الذي هو عبارة عن مجرد تخيلة وتصور إذ مجرد التخيل والتصور لا يصح أن يترتب عليه حكم شرعي لا وجوباً ولا استحباباً. وحاصل جواب العلامة (قده) أنه وإن كان قد رآه في المنام إلا أنه لم يقم دليل على وجوب الاتباع في الرؤية النومية. وهو جيد:

أما أولاً فلأن الأدلة الدالة على وجوب متابعتهم وأخذ الأحكام عنهم عليهم السلام إنما تحمل على ما هو المعروف المتكرر دائماً لما حققناه في غير موضع من أن الأحكام المودعة في الأخبار إنما تحمل على الأفراد المتكررة الكثيرة الدوران، فإنها هي التي ينصرف إليها الإطلاق دون الفروض النادرة الوقوع، ولا ريب أن الشائع المتكرر إنما هو أخذ الأحكام منهم حال اليقظة.

وأما ثانياً فإن الرؤيا وإن كانت صادقة فإنها قد تحتاج إلى تأويل وهو لا يعرفه فالحكم بوجوب العمل بها والحال كذلك مشكل، وأما ثالثاً فلأن الأحكام الشرعية إنما بنيت على العلوم الظاهرة لا على العلم بأي وجه اتفق، ألا ترى أنهم عليهم السلام إنما يحكمون في الدعاوى بالبينات والإيمان، وربما عرفوا المحق من المبطل واقعاً وربما عرفوا كفر المنافقين وفسق الفاسقين ونجاسة بعض الأشياء بعلومهم المختصة بهم إلا أن الظاهر أنهم ليسوا بآمرين بالعمل بتلك العلوم في الأحكام الشريفة، بل إنما يعملون على ظاهر علوم الشريعة وقد روي عنه صلى الله عليه وآله إنا نحكم بالظاهر والله المتولي للسرائر، وأما رابعاً فلما ورد بأسانيد متعددة عن الصادق عليه السلام في أحاديث الأذان أن دين الله تبارك وتعالى أعز من أن يرى في النوم[1].

(١) الدرر النجفية ص ١٥٥.

ومع ذلك كله فقد يظهر من بعضهم أن بعض علمائنا ذهبوا إلى الحجية، دون أن يسميه، وهو ما يظهر من الوحيد البهبهاني[١]، وهو ما يظهر أيضاً من المحقق القمي فيما تقدم من عبارته، بل يظهر منه الميل إلى حجية الرؤيا في الجملة، فراجع عبارته. هذه نبذة من آراء علماء الإمامية.

مع علماء أهل السنة:

أما علماء أهل السنة فنذكر:

ما قاله محيي الدين النووي، قال: ومنها، أنه من رآه ﷺ في المنام فقد رآه حقاً. وأن الشيطان لا يتمثل في صورته، ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام، لعدم ضبط الرائي، لا للشك في الرؤية، فإن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف، والنائم بخلافه[٢].

وما قاله البهوتي: ومن رآه في المنام فقد رآه حقًّا، (فإن الشيطان لا يتخيل به). لأن الله عصمه منه، لكن لا يعمل الرائي بما سمعه منه يتعلق بالأحكام لعدم الضبط لا للشك في رؤيته[٣].

وقال ابن حجر: .. ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك قال أبو المظفر بن السمعاني في القواطع بعد أن حكى عن أبي زيد الدبوسي من أئمة الحنفية أن الإلهام ما حرك

---

(١) الفوائد الحائرية ـ الوحيد البهبهاني ـ ص ٣١٧.
(٢) روضة الطالبين ـ محيي الدين النووي ج ٥ ص ٣٦١.
(٣) كشاف القناع ـ البهوتي ج ٥ ص ٣٥.

القلب لعلم يدعو إلى العمل به من غير استدلال، والذي عليه الجمهور أنه لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح وعن بعض المبتدعة أنه حجة، واحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وبقوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ أي ألهمها حتى عرفت مصالحها فيؤخذ منه مثل ذلك للآدمي بطريق الأولى، وذكر فيه ظواهر أخرى ومنه الحديث قوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن» وقوله لوابصة: «ما حاك في صدرك فدعه، وإن أفتوك» فجعل شهادة قلبه حجة مقدمة على الفتوى، وقوله: «قد كان في الأمم محدثون» فثبت بهذا أن الإلهام حق وأنه وحي باطل، وإنما حرمه العاصي لاستيلاء وحي الشيطان عليه. قال: وحجة أهل السنة الآيات الدالة على اعتبار الحجة والحث على التفكير في الآيات والاعتبار، والنظر في الأدلة، وذم الأماني والهواجس والظنون وهي كثيرة مشهورة، وبأن الخاطر قد يكون من الله وقد يكون من الشيطان وقد يكون من النفس، وكل شيء احتمل أن يكون حقًّا لما يوصف بأنه حق. قال: والجواب عن قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ أن معناه عرفها طريق العلم وهو الحجج، وأما الوحي إلى النحل فنظيره في الآدمي فيما يتعلق بالصنائع وما فيه صلاح المعاش، وأما الفراسة فنسلمها لكن لا تجعل شهادة القلب حجة لأنا لا نتحقق كونها من الله أو من غيره انتهى ملخصاً.

وقال ابن السمعاني: وإنكار الإلهام مردود ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك أن كل ما استقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يرده فهو مقبول، وإلا فمردود يقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان ثم قال ونحن لا ننكر أن الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره ويقوي

به رأيه، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله ولا نزعم أنه حجة شرعية وإنما هو نور يختص الله به من يشاء من عباده، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة انتهى. ويؤخذ من هذا ما تقدم التنبيه عليه أن النائم لو رأى النبي ﷺ يأمره بشيء هل يجب عليه امتثاله، أو لا بد أن يعرضه على الشرع الظاهر؟ فالثاني هو المعتمد[١].

ومما يدل على أن الرؤى لا أثر شرعي لها، ما رواه الكليني في الكافي بسند صحيح عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله عليه السلام. فبعد أن قال بعض من كان في مجلسه إن الأذان قد رآه أبيّ بن كعب في النوم، قال عليه السلام: كذبوا، فإن دين الله أعز من أن يرى في النوم[٢].

تذييل: أسوأ استفادة ممكنة من الرؤى وادعائها.

ومع أن المنامات لا حجية لها شرعاً، فقد سلك بعضهم مسلكاً في ذلك يوجب التشويش على العوام، واستفيد من حديث «من رآنا فقد رآنا»، الذي سيأتي البحث عنه، استفادة هي أسوأ ما يكون. ويستطيع المتتبع أن يدرك حجم الخطر الذي ترتب على الاستفادة السيئة من مثل هذا الحديث، حتى أدرج بعضهم المنامات في كتب الحديث وكأنها رواية من الروايات، واعتمدت مصدراً من مصادر التوثيق والذم، أو تصحيح رواية وتضعيف أخرى، فضلاً عن اعتبارها وسيلة لتأكيد مذهب أو فكرة، ورفع شأن تلك

---

(١) فتح الباري ج ١٢ ص ٣٤٣.
(٢) الكافي للشيخ الكليني، ج٣، ص٤٨٢.

المنامات إلى مستوى ما يشبه الحجية والدليل. ولو أردنا أن نحصي ما تتبعناه في هذا المجال لطال بنا المقام، لكنا سنكتفي بذكر نماذج هي غيض من فيض، رغم ما قد يلوح من إطالة في عرض هذه النماذج.

فعن الترمذي أنه أخرج عن عبد الله بن أبي يزيد، عن أبيه أن أم أيوب أخبرته، قالت: نزل علينا رسول الله ﷺ فتكلفنا له طعاماً فيه بعض هذه البقول، فكره أكله، وقال لأصحابه: كلوه، إني لست كأحدكم، إني أخاف أن أؤذي صاحبي. قال: وقال الحميدي: قال أبو سفيان: رأيت النبي ﷺ في النوم قلت: يا رسول الله أهذا الحديث الذي تحدثت به أم أيوب عنك إن الملائكة تتأذى مما يتأذى به بنو آدم؟ قال حق[١].

فقد ذكر هذا المنام رواية في كتب الحديث، وليس له معنى إلا تأييد الحديث أو تصحيحه بذلك المنام.

وروي عن ابن منصور قال: رأيت النبي ﷺ في النوم ومعه رجلين أعرفهما بوجهيهما، قلت: يا رسول الله ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق. فقلت للرجلين اشهدا كأنهما في اليقظة[٢].

فقد استخدم المنام لتأييد رأي ومذهب متعلق بكون القرآن مخلوق أو غير مخلوق. والنزاع فيه مشهور معروف، وقد كلف في تاريخ المسلمين دماً وأذى كبيراً، وتكفيراً واسعاً.

(١) الإصابة لابن حجر ج ٨ ص ١٧٤.
(٢) اعتقاد السنة لابن منصور ص ٣٦٤.

وروي عن يحيى بن عبادة أنه قال: سمعت رجلاً من أهل دمشق ممن يكتب عنه العلم يقول: رأيت النبي ﷺ في منامي، وقد علمت أن رسول الله ﷺ قال: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، فقال لي: قل ليحيى بن أكثم: من قال القرآن مخلوق فقد كفر وقد بانت منه امرأته. ثم قال الرجل: والله ما رأيت يحيى وما أعرفه أفترونى أكذب على رسول الله ﷺ(١).

فقد مهد لنقل المنام بحديث من كذب على رسول الله ﷺ، موحياً بأن ما سينقله رواية عن رسول الله ﷺ من غير واسطة اعتماداً على المنام الذي سينقله، وفيه حكم بكفر من قال بأن القرآن مخلوق، فليست القضية هنا مجرد تأييد لفكرة، بل تكفير للمخالف اعتماداً على منام.

ومن قبيل ما سبق ما روي عن علي العابد، قال: رأيت النبي ﷺ في المنام بعبادان، فقلت: يا رسول الله أما ترى ما نحن فيه من الاختلاف في القرآن هذا يكفر هذا وهذا يكفر هذا. فقال: وما ذنبي وقد رفعت لكم علماً فضم إليه قوم وانقطع عنه آخرون، فقلت: يا رسول الله فكيف السنة، وكيف أقول؟ قال: هكذا، وعقد ثلاثين وأومأ إلى فيه، قال: كلام الله وليس بمخلوق، فقلت: يا رسول الله هؤلاء الذين وقفوا فقالوا لا نقول كذا ولا كذا، فقال: فكلح وجهه وقال بيده كهيئة المستخف(٢).

وقد كان المنام في بعض الأحيان وسيلة لتأييد شخص وكتابه،

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.

والطعن بمخالفه، فقد روي أن شخصاً كان يرى النبي ﷺ كثيراً ثم انقطعت عنه رؤياه فقال ثم رأيته ﷺ بعد ذلك فسألته عليه الصلاة والسلام عن الحجاب الذي حال بيني وبينه فقال: كيف تراني وعندك هذا الكتاب «نيل الأماني في الرد على النبهاني»[(١)].

وكان المنام لآخرين وسيلة للتأكد من مجموعة أحكام شرعية هي محل خلاف بين المسلمين، فمن ذلك ما رواه ابن منظور عن محمد بن عكاشة أنه قال: . . فجاءني النوم فدخل عليَّ النبي ﷺ . . . فقلت: يا رسول الله، الفقهاء قد خلطوا عليَّ في الاختلاف، وعندي أصيلات من السنة أعرضها؟ قال: نعم. قلت: الرضا بقضاء الله. . . والمسح على الخفين والجهاد مع كل خليفة والصلاة يوم الجمعة مع كل بر وفاجر. . . ولا تخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا. . . وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان. قال محمد بن عكاشة فوقفت على عليٍّ وعثمان كأني هبت النبي ﷺ أن أفضّل عثمان على عليٍّ. . . فتبسم النبي ﷺ كأن قد علم فقال عثمان ثم علي ثم قال: هذه هي السنة فتمسك بها. .[(٢)]

وروي عن بعضهم أنه رأى النبي ﷺ وسمعته يقول يا أحمد بن حنبل هلم إلى العرض على الله عز وجل فرأيت أحمد بن حنبل والمروذي خلفه[(٣)].

ورويت المنامات في فضائل الصحابة، فمن ذلك ما روي عن

---

(١) جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج ١ ص ٧.
(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ج ٣ جزء ٥ ص ٥٦.
(٣) طبقات الحنابلة لأبي يعلى ج ١ ص ٦١.

بعضهم أنه سمع الحسن بن علي قال رأيت رسول الله ﷺ، يعني في المنام، متعلقاً بالعرش، ثم رأيت أبا بكر أخذ بحقوي رسول الله ﷺ، ثم رأيت عمر أخذ بحقوي أبي بكر، ثم رأيت عثمان أخذ بحقوي عمر، ثم رأيت الدم منصباً من السماء إلى الأرض. فحدث الحسن بهذا الحديث وعنده ناس من الشيعة، فقالوا ما رأيت عليًا قال ما كان أحد أحب إليَّ أن أراه أخذ بحقوي رسول الله من عليٍّ ولكن إنما هي رؤيا[١].

فلم يجد بعض هؤلاء الرواة إلا الإمام الحسن بن علي عليه السلام للزج باسمه في هذه الرواية وادعاء هذه الرؤيا عنه، حتى أنه لم يجد علياً عليه السلام في هذه الرؤيا.

ومن ذلك ما روي عن حيان النحوي قال: كان لي جليس يذكر أبا بكر وعمر فأنهاه فيغرى فأقوم عنه، فذكرهما يوماً فقمت عنه مغضباً واغتممت بما سمعت إذ لم أرد عليه الذي ينبغي، فنمت فرأيت النبي ﷺ في منامي كأنه أقبل ومعه أبو بكر وعمر. فقلت يا رسول الله إن لي جليساً يؤذيني في هذين فأنهاه فيغرى، فالتفت ﷺ إلى رجل قريب منه فقال اذهب إليه فاذبحه. قال فذهب الرجل وأصبحت فقلت إنها لرؤيا لو أتيته فأخبرته لعله ينتهي فمضيت أريده، فلما صرت قريباً من بابه إذا الصراخ وإذا بواري ملقاة، فقلت ما هذا؟ قالوا فلان طرقته الذبحة في هذه الليلة[٢].

ومن ذلك ما روي عن محمد بن علي السمان، قال سمعت

---

(١) فضائل الصحابة لابن حنبل ج ١ ص ٢٣٤.
(٢) فضائل الصحابة لابن حنبل ج ١ ص ٢٩٨.

رضوان السمان قال: كان لي جار في منزلي وسوقي، وكان يشتم أبا بكر وعمر حتى كثر الكلام بيني وبينه، حتى إذا كان ذات يوم شتمهما وأنا حاضر، فوقع بيني وبينه كلام كثير حتى تناولني وتناولته. فانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين ألوم نفسي، فنمت وتركت العشاء من الغم. قال: فرأيت رسول الله ﷺ في منامي من ليلتي فقلت له يا رسول الله، فلان جاري في منزلي وفي سوقي وهو يسب أصحابك. فقال: من أصحابي؟ فقلت: أبو بكر وعمر، فقال رسول الله ﷺ: خذ هذه المدية فاذبحه بها. قال: فأخذته فأضجعته فذبحته، فرأيت كأن يدي قد أصابها من دمه فألقيت المدية، وضربت بيدي إلى الأرض فمسحتها بالأرض فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو الدار فقلت للخادم انظر ما هذا الصراخ فقال فلان مات فجأة. فلما أصبحنا نظرنا إلى حلقه فإذا فيه خط موضع الذبح(١).

فقد أدرجت هذه الأمور في كتب الأحاديث وليس لها إلا معنى واحد وهو الاحتجاج بها، وتأييد مذاهب وتفنيد أخرى.

وقد روى أتباع مذاهب أخرى منامات أخرى تخالف ذلك:

فمن ذلك ما روي عن أبي جعفر المنصور، قال: كان عندنا بالشراة قاض إذا فرغ من قصصه ذكر علياً عليه السلام فشتمه، فبينا هو كذلك إذ ترك ذلك يوماً ومن الغد، فقالوا: نسي، فلما كان اليوم الثالث تركه أيضاً، فقالوا له وسألوه، فقال: لا والله لا أذكره بشتيمة أبداً، بينا أنا نائم والناس قد جمعوا فيأتون النبي ﷺ فيقول لرجل: اسقهم، حتى وردت على النبي ﷺ فقال له: اسقه، فطردني

(١) المصدر السابق.

فشكوت ذلك إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، مره فليسقني. قال: اسقه، فسقاني قطراناً، فأصبحت وأنا أتحاشاه[١].

ومن ذلك ما روي عن محمد بن عباد أنه قال لبعضهم: ألا أحدثك بأعجب حديث سمعته قط؟ قال: قلت: حدثني رحمك الله. قال: كان في جواري هاهنا رجل من أحد الصالحين، فبينا هو ذات ليلة نائم إذ رأى كأنه قد مات، وحشر إلى الحساب، وقرب إلى الصراط. قال: فلما جزت إلى الصراط، فإذا أنا بالنبي ﷺ جالس على شفير الحوض، والحسن والحسين عليهما السلام بيديهما كأس النبي ﷺ يسقيان الأمة، فدنوت إلى الحسن عليه السلام فقلت: اسقني، فأبى عليَّ، فدنوت إلى الحسين عليه السلام فقلت له: اسقني، فأبى عليَّ. فأتيت النبي عليه السلام فقلت: يا رسول الله، مر الحسن والحسين يسقياني، قال: لا تسقياه. قلت: بأبي أنت وأمي، أنا مؤمن بالله وبك، لم أخالفك، فكيف لا تسقونني! مر الحسن والحسين أن يسقياني، فقال: لا تسقياه، فإن في جواره رجلاً يلعن عليًّا فلم يمنعه، فدفع إليَّ سكيناً وقال: اذهب فاذبحه، فذهبت في منامي فذبحته، ثم رجعت فقلت بأبي أنت وأمي قد فعلت ما أمرتني به. قال: هات السكين، فدفعته، قال: يا حسين اسقه. قال: فسقاني الحسين عليه السلام وأخذت الكأس بيدي، ولا أدري شربت أم لا، ولكني استنبهت من نومي، وإذا بي من الرعب غير قليل، فقمت إلى صلاتي، فلم أزل أصلي وأبكي حتى انفجر عمود الصبح، فإذا بولولة وصيحة، وإذا هم ينادون فلان ذبح على فراشه، وإذا أنا بالحرس

---

(١) أمالي الطوسي ص ٦١٩.

والشرطة يأخذون البريء والجيران، فقلت. سبحان الله، هذا شيء رأيته في المنام، فحققه الله! فقمت إلى الأمير فقلت: أصلحك الله، هذا أنا فعلته والقوم براء. قال لي: ويحك ما تقول! فقلت: أيها الأمير، هذه رؤيا رأيتها في منامي، فإن كان الله حققها فما ذنب هؤلاء وقصصت عليه الرؤيا، فقال الأمير: اذهب فجزاك الله خيراً، أنت بريء، والقوم براء[1].

وعن الترمذي قال: أردت أن أكتب كتب الرأي فرأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله أكتب رأي مالك؟ قال: ما وافق منه سنتي، فقلت: يا رسول الله فأكتب رأي الشافعي؟ فقال النبي ﷺ: إنه ليس برأي إنه رد على من خالف سنتي[2].

وعنه أيضاً: كتبت الحديث تسعاً وعشرين سنة وسمعت مسائل مالك وقوله، ولم يكن لي حسن رأي في الشافعي، فبينا أنا قاعد في مسجد النبي ﷺ بالمدينة إذ غفوت غفوة فرأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله أكتب رأي أبي حنيفة؟ قال لا قلت أكتب رأي مالك؟ قال: اكتب ما وافق سنتي، قلت له أكتب رأي الشافعي؟ فطأطأ رأسه شبه الغضبان يتولى، وقال ليس بالرأي هذا رد على من خالف سنتي. قال: فخرجت في أثر هذه الرؤيا إلى مصر فكتبت كتب الشافعي[3].

وعن محمد بن الحسن البلخي قال: رأيت رسول الله ﷺ في

---

(١) أمالي الطوسي ص ٧٣٦.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٩ ص ١٠٠.
(٣) المصدر السابق، راجع أيضاً تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ٣٦٥.

النوم فقلت: يا رسول الله ما تقول في قول مالك وأهل العراق؟ قال: ليس قولي إلا قولي، قلت: ما تقول في قول أبي حنيفة وأصحابه؟ قال: ليس قولي إلا قولي، قلت: ما تقول في قول الشافعي؟ قال: ليس قولي إلا قولي ولكنهم صدقوا أهل البدع[١].

وعن أبي موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام عن أبيه محمد بن إبراهيم قال المنصور يوماً ونحن جلوس عنده أتذكرون رؤيا كنت رأيتها ونحن بالشراة؟ فقالوا يا أمير المؤمنين ما نذكرها، فغضب من ذلك، وقال: كان ينبغي لكم أن تثبتوها في ألواح الذهب وتعلقوها في أعناق الصبيان. فقال عيسى بن علي: إن كنا قصرنا في ذلك فنستغفر الله يا أمير المؤمنين، فليحدثنا أمير المؤمنين بها. قال: نعم، رأيت كأني في المسجد الحرام وكأن رسول الله ﷺ في الكعبة وبابها مفتوح والدرجة موضوعة وما أفقد أحداً من الهاشميين ولا من القرشيين، إذا مناد ينادي أين عبد الله، فقام أخي العباس يتخطى الناس حتى صار على الدرجة، فأخذ بيده فأدخل البيت فما لبث أن خرج علينا ومعه قناة عليها لواء قدر أربع أذرع أو أرجح، فرجع حتى خرج من باب المسجد ثم نودي أين عبد الله، فقمت أنا وعبد الله بن علي نستبق حتى صرنا إلى الدرجة، فجلس وأخذ بيدي فأصعدت فأدخلت الكعبة، وإذا رسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر وعمر وبلال، فعقد لي وأوصاني بأمته وعممني فكان كورها ثلاثة وعشرين كوراً، وقال: خذها إليك أبا الخلفاء إلى يوم القيامة»[٢]

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٩ ص ١٠٠.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ٦٤.

وعن محمد بن أحمد بن إبراهيم الموصلي قال: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت يا رسول الله إن يحيى الحماني حدثنا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر عنك ﷺ الله عليك أنك قلت: ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في منشرهم، وكأني بأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن. فقال: صدق ابن الحماني(١).

وعن محمد البخاري بخوارزم قال: رأيت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يعني في المنام خلف النبي ﷺ والنبي ﷺ يمشي، فكلما رفع النبي ﷺ قدمه وضع أبو عبد الله محمد بن إسماعيل قدمه في ذلك الموضع(٢).

وعن النجم بن الفضيل قال: رأيت النبي ﷺ في المنام خرج من قرية ماستى ومحمد بن إسماعيل خلفه، فكان النبي ﷺ إذا خطا خطوة يخطو محمد بن إسماعيل ويضع قدمه على خطوة النبي ﷺ ويتبع أثره(٣).

وعن محمد بن يوسف الفربري قال: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي أين تريد؟ فقلت أريد محمد بن إسماعيل البخاري، فقال أقرئه مني السلام(٤).

وعن عبد الواحد بن آدم الطواويسي قال: رأيت النبي ﷺ في

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ١ ص ١٦٥.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.

النوم ومعه جماعة من أصحابه وهو واقف في موضع ذكره فسلمت عليه فرد السلام فقلت ما وقوفك يا رسول الله؟ فقال: أنتظر محمد بن إسماعيل البخاري فلما كان بعد أيام بلغني موته فنظرنا فإذا هو قد مات في الساعة التي رأيت النبي ﷺ فيها[١].

وعن المزني قال: رأيت النبي ﷺ في المنام فسألته عن الشافعي فقال لي: «من أراد محبتي وسنتي فعليه بمحمد بن إدريس الشافعي المطلبي فإنه مني وأنا منه»[٢].

وعنه أيضاً قال كنت في الروضة فأغفيت فإذا النبي ﷺ قد أقبل فقمت إليه فقلت يا رسول الله قد كثر الاختلاف في الدين فما تقول في رأي أبي حنيفة؟ فقال أف ونفض يده، قلت فما تقول في رأي مالك؟ فرفع يده وطأطأ وقال أصاب وأخطأ، قلت فما تقول في رأي الشافعي؟ قال بأبي ابن عمي أحيى سنتي[٣].

وعن أحمد بن محمد بن يوسف الأصبهاني: رأيت النبي ﷺ في النوم فقلت: يا رسول الله عمن آخذ علم القرآن؟ فقال عن أبي بكر بن الأنباري قلت فالفقه؟ قال عن أبي إسحاق المروزي[٤].

وعن أبي الفضل محمد بن عبيد البلعمي يقول سمعت الأمير أبا إبراهيم إسماعيل بن أحمد يقول: كنت بسمرقند فجلست يوماً للمظالم وجلس أخي إسحاق إلى جنبي إذ دخل أبو عبد الله محمد بن

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ٣٤.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٢ ص ٦٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ١٨٣.

نصر المروزي فقمت له إجلالاً لعلمه فلما خرج عاتبني أخي إسحاق وقال أنت والي خراسان يدخل عليك رجل من رعيتك فتقوم إليه وبهذا ذهاب السياسة، فبت تلك الليلة وأنا مقسم القلب بذلك فرأيت النبي ﷺ في المنام وكأني واقف مع أخي إسحاق إذ أقبل النبي ﷺ فأخذ بعضدي فقال لي يا إسماعيل ثبت ملكك وملك بنيك بإجلالك لمحمد بن نصر، ثم التفت إلى إسحاق فقال ذهب ملك إسحاق وملك بنيه باستخفافه بمحمد بن نصر[١].

وعن محمد بن أبي الورد قال سمعت يحيى الجلا أو علي بن الموفق قال ناظرت قوماً من الواقفية أيام المحنة قال فنالوني بما أكره فصرت إلى منزلي وأنا مغموم بذلك فقدمت إليَّ امرأتي عشاء فقلت لها لست آكل فرفعته ونمت فرأيت النبي ﷺ في النوم داخل المسجد وفي المسجد حلقتين يعني إحداهما فيها أحمد بن حنبل وأصحابه والأخرى فيها ابن أبي داود وأصحابه فوقف بين الحلقتين وأشار بيده فقال فإن يكفر بها هؤلاء وأشار إلى حلقة ابن أبي داود فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين وأشار إلى الحلقة التي فيها أحمد بن حنبل[٢].

وعن العلاء بن صاعد بن مخلد قال رأيت النبي ﷺ في النوم وهو جالس في موضع من المواضع ذكره فدخل عليه أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرتي القاضي فقام إليه رسول الله ﷺ وصافحه وقبله بين عينيه وقال مرحباً بالذي يعمل بسنتي وأثري، ثم

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ٣١٧.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ١٥٣.

دخلت عليه بعده وذهبت لأسلم عليه فدفعني عن نفسه وقال عليك بالمذبح قال فكان إذا دخل أبو العباس البرتي إلى العلاء بن صاعد نهض إليه وقبله بين عينيه وقال هكذا رأيت رسول الله ﷺ يفعل بك[1].

وعن إبراهيم بن إسماعيل بن خلف قال كان أحمد بن نصر خلّي فلما قتل في المحنة وصلب رأسه أخبرت أن الرأس يقرأ القرآن فمضيت فبت بقرب من الرأس مشرفاً عليه وكان عنده رجالة وفرسان يحفظونه، فلما هدأت العيون سمعت الرأس يقرأ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ فاقشعر جلدي ثم رأيته بعد ذلك في المنام وعليه السندس والإستبرق وعلى رأسه تاج فقلت ما فعل الله بك يا أخي؟ قال: غفر لي وأدخلني الجنة إلا أني كنت مغموماً ثلاثة أيام، قلت: ولم؟ قال: رأيت رسول الله ﷺ مر بي فلما بلغ خشبتي حول وجهه عني فقلت له بعد ذلك يا رسول الله قتلت على الحق أو على الباطل؟ فقال أنت على الحق ولكن قتلك رجل من أهل بيتي فإذا بلغت إليك أستحي منك[2].

وعن القاضي أبي عبد الله مخمد بن عبد الله البيضاوي قال رأيت في المنام كأني دخلت مسجدي الذي أدرس فيه فرأيت رجلاً جالساً في المحراب وآخر يقرأ عليه ويتلو تلاوة لا شيء أحسن منها فقلت من هذا القارئ ومن الذي يقرأ عليه؟ فقيل لي أما الجالس في المحراب فهو رسول الله ﷺ، وأما القارئ عليه فهو أبو بكر الأشعري يدرس عليه الشريعة[3].

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ٥ ص ٦١.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ٥ ص ١٧٩.
(٣) تاريخ بغداد للخطيب ج ٥ ص ٣٨٠.

وعن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ، قيل يا رسول الله وما الخفيف الحاذ؟ قال الذي لا أهل له ولا ولد قال موسى قال أبي قال العباس فتكلم الناس في هذا الحديث فرأيت النبي ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله حدثنا رواد بن الجراح حدثنا سفيان حدثنا منصور حدثنا ربعي عن حذيفة عنك أنك قلت خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ فقال لي النبي ﷺ صدق رواد بن الجراح وصدق سفيان وصدق منصور وصدق ربعي وصدق حذيفة أنا قلت خيركم في المائتين كل خفيف الحاذ[١].

وعن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ كانت تعجبه الرؤيا الحسنة ويسأل عنها فقال ذات يوم أيكم رأى رؤيا؟ فقال رجل أنا يا رسول الله رأيت كأن ميزاناً دلي من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر بعمر ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر بعثمان ثم رفع الميزان فاستاء لها رسول الله ﷺ فقال نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء[٢].

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ ذكر يوماً وهو مع أصحابه رأى الليلة رجل صالح فقال أصحابه قلنا في أنفسنا هذا رسول الله قال رأيت دلواً هبط من السماء فشرب منه رسول الله عشر جرع ثم ناوله أبا بكر فشرب منه جرعتين ونصف، ثم ناوله عمر فشرب منه عشر جرع ونصف ثم ناوله عثمان فشرب منه اثنتي عشرة جرعة ونصف جرعة ثم رفع الدلو إلى السماء[٣].

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج ٦ ص ١٩٧.
(٢) فضائل الصحابة لابن حنبل ج ١ ص ١٨٤.
(٣) فضائل الصحابة لابن حنبل ج ١ ص ٢٠٠.

ويكفي هذا المقدار للتدليل على سوء الاستفادة تلك من الرؤى والمنامات.

وقال الأميني بعد أن نقل بعض أحاديثهم في الرؤى الدالة على تفضيل مثل معاوية: عجباً من حفاظ قوم وأئمة مذهب يغرون بسطاء الأمة بأضغاث الأحلام ويموهون على الحقائق الراهنة بالترهات، ويسودون صحائف التاريخ بالتافه الواهي، ويشوهون سمعة الصحابة ويدنسون ساحة قدس صلحائهم بعد ابن هند الخمار الرباء من زمرتهم، وجعله وإياهم عكمي بعير، قاتل الله الجهل. ليتني أدري أن الذي شهده هذا الرجل في طيف الخيال هل هو ذلك النبي الأقدس ﷺ الذي كان ينتقص هو معاوية ويلعنه في يقظته وانتباهته، وقد تطابق في ابن هند لسان حاله والمقال، أم هو غيره؟ انتظرها هنا حتى يوافيك الجواب عن صاحب الرؤيا ولا أظن[١].

ومن ذلك ما روي عن أحدهم أنه كتب بالرقعة رأيت الله في المنام والرسول ﷺ يقول إني كنزت تحت منبري كنزاً وقد أمرت مالكاً أن يقسمه فيكم فاذهبوا إلى مالك[٢].

ومن ذلك ما روي عن جرير بن عبد الحميد قال: أخبرني من كان يحرس شجرة زيد بن علي قال: كنا أربعين رجلاً نحرسه فلما ذهب من الليل ثلثه أو نحوه جاء النبي ﷺ فأنزل زيداً عن الخشبة ثم قال: يا زيد، قال: لبيك بأبي وأمي، قال: خذلوك وقتلوك وصلبوك؟ قال: نعم، قال: ليخذلنهم الله وليقتلنهم وليصلبنهم،

---

(١) الغدير للأميني ج ١١ ص ١٠٠، والرؤيا نقلها عن تاريخ ابن كثير، ج ٨ ص ١٤٠.
(٢) المجروحين لابن حبان ج ١ ص ٤٢.

فحدثه طويلاً ثم سقاه ضياحاً من لبن ثم قال: اصعد الخشبة فلما كانت القابلة قال لرجل من أصحابه ممن في الحرس: لا تنم، فلم ينم حتى كانت تلك الساعة، فرأى مثل ذلك، فلما كانت الثالثة قال لآخر: لا تنم، فلم ينم، فرأى مثل ذلك...[١].

ومن ذلك ما روي أن رجلاً جاء إلى أبي الحسن جعفر بن محمد بن فطير، فقال له إني رأيت أمير المؤمنين عليه السلام في المنام وقال لي امض إلى ابن فطير وقل له يعطيك عشرة دنانير فقال له متى رأيته؟ قال في أول الليل فقال صدقت فإني رأيته في آخر الليل وأمرني أنه إذا جاءك سائل كذا صفته وسألك شيئاً فأعطه إلى آخر القصة[٢].

ومن ذلك ما روي عن يحيى بن كثير، قال: رأيت زيد الأيامي في المنام فقلت إلى ما صرت يا أبا عبد الرحمن؟ قال إلى رحمة الله عز وجل، قال: قلت فأي عمل وجدت أفضل؟ قال الصلاة وحب علي بن أبي طالب عليه السلام[٣].

ومن ذلك ما نسب إلى بعض الصالحين أنه قال: رأيت في النوم كأني دخلت الجنة فرأيت في وسطها عمراً من نور ورأيت أربعة يجرونه... فسألت بعض الملائكة عن ذلك فقال لي هذا العمود هو دين الإسلام وهذه الأربع سلاسل المذاهب الأربعة...[٤].

وفي تلك المنامات التي تنقل ما يضحك الثكلى، وفي بعضها

(١) الإيضاح للنيسابوري ص ٣٩٦.
(٢) الشيعة وفنون الإسلام للصدر ص ١٢٨.
(٣) بشارة المصطفى للطبري ص ١٤٦، ومثله في حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٥ ص ٣٢.
(٤) نور الأبصار للشبلنجي ج ١ ص ٤٢٥.

سيق لتشريع خلافة بعض الخلفاء الأمويين[١]، وفي بعضها دخول الجنة أقوام قاتلوا بعضهم البعض[٢].

وعليك أيها العاقل أن تتأمل في منامات جعلت أحاديث، ودونت في كتب التاريخ، واستند إليها في المدح والذم، وتأييد مذهب ونفي آخر، فهل يعقل أن يتم الاحتجاج بالمنامات، ويتم الترويج بها على عوام الناس، وعلى الآخرين. علماً أنه ما من مذهب إلا ونقل منامات عن رسول الله ﷺ تدل على فضل المذهب وأئمته وعلمائه، وقد تتبع كل ذلك العلامة الأميني في الغدير فراجعه لتطلع على تفصيله.

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٥ ص ٣٣٦ فما بعدها.
(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٤ ص ١٤٣.

البحث الخامس:

من رآنا فقد رآنا

هنا نصل إلى البحث الأساس الذي هدفنا إليه، والذي عنونا به كتابنا هذا، وهو البحث عن رؤيا الرسول ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام في المنام، فهل هي كرؤيتهم في اليقظة؟ وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون كل ما يقولونه في المنام حجة على العباد، كما كان قولهم حجة عليهم في اليقظة. وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تكون تلك المنامات حجة شرعية فيما لو أدت إلى إثبات حكم شرعي، أو بيان طريق ما من طرق الحياة مما له علاقة بالهداية والضلال، كالإرشاد إلى شخص كي يتبع، أو التحذير من شخص كي يجتنب. وإذا لم يكن الأمر كذلك فما معنى قولهم من رآنا فقد رآنا؟

في البداية علينا أن نستعرض الروايات الواردة في هذه القضية، والمتضمنة لتلك الجملة، ثم ندخل في تحليلها، وتفسيرها، بعد تمييز الصحيح منها عن الضعيف، إذ لا عبرة بالأخبار الضعيفة فيما هو أقل شأناً من هذه القضية فكيف فيها، فنقول:

روى الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه بسند معتبر عن

الحسن بن علي بن فضال عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام، أن رجلاً من أهل خراسان قال له عليه السلام: يا بن رسول الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام كأنه يقول لي: كيف أنتم إذا دفن في أرضكم بضعتي، واستحفظتم وديعتي، وغيب في ثراكم نجمي؟ فقال له الرضا عليه السلام: «أنا المدفون في أرضكم، وأنا بضعة من نبيكم، وأنا الوديعة والنجم. ألا فمن زارني وهو يعرف ما أوجب الله تبارك وتعالى من حقي وطاعتي، فأنا وآبائي شفعاؤه يوم القيامة، ومن كنا شفعاؤه نجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والإنس. ولقد حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رآني في منامه فقد رآني، لأن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ولا في صورة أحد من أوصيائي، ولا في صورة أحد من شيعتهم، وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءًا من النبوة»(١).

ورواه الشيخ الصدوق في غير من لا يحضره الفقيه أيضاً(٢).

والذي يستفاد من هذا النص أمور:

منها: أن رؤيا الرسول صلى الله عليه وآله في المنام، رؤيا الصادقة، وأنها رؤية صحيحة للنبي صلى الله عليه وآله. لتصريح الرواية بكون الرؤيا رؤيا المنام، ولكون هذا هو مقتضى ذكر هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في معرض جواب من تحدث عن رؤيا النبي صلى الله عليه وآله في المنام.

ومنها: أن سبب ذلك أن موجبات عدم صحة الرؤيا تمثل

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج ٢ ص ٥٨٤.
(٢) الأمالي ـ الشيخ الصدوق ص ١٢٠.

الشيطان، وحيث إن الشيطان لا يتمثل به ﷺ فهذا الموجب منتف، وهذا مؤشر على أن المنامات الكاذبة تأتي من الشيطان، وتوهماته التي يلقيها في النفس. ومقتضى سياق الكلام، هو أن الشيطان لا يتمثل به ﷺ في المنام، وإلا لم تكن هناك علاقة بين العلة والمعلول، أي «من رآني فقد رآني»، و«فإن الشيطان لا يتمثل بي».

ومنها: أن الرؤيا التي يحكم بكونها صادقة، هي رؤيا صورة النبي ﷺ لأنها هي التي لا تتمثل بها الشيطان. ولا دليل على أن الشيطان لا يدعي أنه النبي في رؤيا يلقيها للرائي دون أن يتمثل في صورته ﷺ. فمجرد أن يدعي المرئي أنه الرسول ﷺ، أو يأتي على خاطر الرائي أن ما يراه هو الرسول ﷺ لا يكفي للحكم بصحة الرؤية، وأنها رؤية صحيحة للنبي ﷺ، ما لم ير النبي بصورته. هذا من حيث المبدأ ما يدل عليه ظاهر الرواية، إلا أن الرائي في هذه الرواية لم يكن معاصراً للنبي ﷺ قطعاً، ولم يقل لنا سوى أنه رأى النبي، فكان كافياً للبناء على أنها رؤية له ﷺ، وهذا ما يحتاج إلى بعض المتابعة، وهي بيت القصيد في هذا البحث، وسنعود إليه بشكل مفصل، إن شاء الله تعالى.

ومنها: أن التعليل، أعني أن الشيطان لا يتمثل بصورته ﷺ، لا يختص به ﷺ، فهو أيضاً لا يتمثل بصورة أحد من أوصيائه، ولا بأحد من شيعته. وهذا يعني أن من رأى أحداً من أوصيائه، أو من شيعته فقد رآهم حقيقة، لأن الشيطان لا يتمثل بأي منهم.

والتعميم للأوصياء مفهوم، إلا أن التعميم للشيعة أحدث بعض الإرباك، ومن هنا حمله العلامة المجلسي في البحار على أن المقصود

من الشيعة، الخلص منهم، أمثال سلمان الفارسي، وأبي ذر والمقداد وأمثالهم[(١)].

ومنها: أن النص خاص بالنبي ﷺ وأوصيائه، ولم يعمم إلى سائر الأنبياء والأوصياء.

ومن عدم تمثل الشيطان بصورة أحد من أوصيائه استفاد الشيخ الصدوق لينفي إمامة إسماعيل بن جعفر بضميمة ما ورد بأن الشيطان تمثل به، فقد روى الشيخ في كمال الدين وتمام النعمة بسند معتبر أن الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل فقال لي: تعال حتى أريك ابن الرجل قال: فذهبت معه، قال: فجاء بي إلى قوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر، قال: فخرجت مغموماً فجئت إلى الحجر فإذا إسماعيل بن جعفر متعلق بالبيت يبكي قد بل أستار الكعبة بدموعه، قال: فخرجت أشتد فإذا إسماعيل جالس مع القوم، فرجعت فإذا هو آخذ بأستار الكعبة قد بلها بدموعه، قال: فذكرت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال: لقد ابتلى ابني بشيطان يتمثل في صورته[(٢)].

ثم قال الشيخ الصدوق: وقد روي أن الشيطان لا يتمثل في صورة نبي ولا في صورة وصي نبي، فكيف يجوز أن ينص عليه بالإمامة مع صحة هذا القول منه فيه.

إلا أن النص يقتضي أيضاً، لو أريد منع التمثل حتى لصورة اليقظة، عدم تمثل الشيطان بصورة أحد من شيعته، فهل ينفي

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ـ ج ٥٨ ـ ص ٢٣٤.
(٢) كمال الدين وتمام النعمة ـ الشيخ الصدوق ص ٧٠.

الصدوق من خلال ذلك النص أن يكون إسماعيل من شيعة الرسول ﷺ، وليس كذلك قطعاً.

إلا أنه لا شك في أن الشيطان لا يمكن أن يتمثل بصورة نبي من الأنبياء، أو وصي من الأوصياء في اليقظة، لأنه مناف للطف الإلهي، ويوجب إيقاع الناس في الضلالة، ويضيع الهدف من النبوة والوصاية، فالله تعالى يمنع من تسلط الشيطان على ذلك، وهذا يكون مختصاً بحال الرؤيا في اليقظة، فيمكن للشيخ الصدوق أن ينفي إمامة إسماعيل من خلال ذلك، لكن المستند في ذلك هو العقل لا النص.

وكيفما كان، فإن عدم تمثل الشيطان في اليقظة هو القدر المتيقن، أما عدم تمثله في المنام فالعقل لا يمنعه، لأن المنامات لا حجية لها حتى تكون لها نفس آثار الرؤية في اليقظة، فالدليل على عدم تمثل الشيطان بصورة من صور النبي أو أوصيائه لا يكون إلا النص، وهو موجود.

وعلى كل حال فإني لم أجد رواية يمكن الاستناد إليها في قضية رؤية المعصومين عليهم السلام في المنام سوى تلك الرواية التي نقلناها، وسائر الروايات فيها ضعف واضح، بل في أسانيد بعضها من اتهمه أصحابنا بالوضع، نكتفي بذكر بعضها كنموذج على ذلك:

منها ما روي عن سليم بن قيس من كتابه، رواه عنه أبو بكر بن أبي عياش، وهو متهم في نقله.

إلا أن هذه الرواية المعتبرة كافية في المطلوب، كما أن مضمونها المتعلق برؤية الرسول ﷺ متسالم عليها بين المسلمين

على اختلاف مذاهبهم، وقد رواها علماء السنة ومحدثوهم أيضاً في كتبهم الروائية، مثل البخاري ومسلم في صحيحيهما، والدارمي وابن ماجة والترمذي وابن داود في سننهم، وابن حنبل في مسنده.

فمن ذلك ما رواه ابن حنبل بسنده عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[1].

وروى ابن حنبل ما يزيد عن خمس روايات تضمنت قضية الرؤيا بصيغ مختلفة، وأسانيد متعددة في مواضع مختلفة من مسنده، ينتهي بعضها إلى ابن مسعود عن رسول الله ﷺ، وبعضها الآخر إلى أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، وواحد منها ينتهي إلى أنس بن مالك. بينما لم يرو الدارمي إلا رواية واحدة بسند واحد عن ابن مسعود[2]، مع أنه كان معاصراً على ما يبدو لابن حنبل.

وروى البخاري ما يزيد عن الست روايات منها ما ينتهي إلى أبي هريرة، ومنها ما ينتهي إلى أنس، ومنها ما ينتهي إلى أبي قتادة، ومنها ما ينتهي إلى أبي سعيد الخدري، وكلها عن رسول الله ﷺ. وفي بعضها «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي، ومن كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار»[3]، وفي بعضها الآخر: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي»[4]. وفي بعضها

(١) مسند أحمد ـ الإمام أحمد بن حنبل ج ٣ ص ٢٦٩.
(٢) سنن الدارمي ـ عبد الله بن بهرام الدارمي ج ٢ ص ١٢٣.
(٣) صحيح البخاري ـ البخاري ج ١ ص ٣٥.
(٤) صحيح البخاري ـ البخاري ج ٨ ص ٧١.

الثالث: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»(١)، وفي بعضها الرابع: «من رآني فقد رأى الحق»(٢)، وفي بعضها الخامس: «من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتكونني»(٣).

وقد روى مسلم أغلب هذه الروايات في صحيحه، وله بالإضافة إلى ذلك رواية بسنده إلى جابر بن عبد الله الأنصاري، وفيها: إن رسول الله ﷺ قال: «من رآني في النوم فقد رآني أنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي»(٤).

ورواها أيضاً ابن ماجة القزويني في سننه، بالإضافة إلى رواية بسنده عن ابن عباس، وأغلب رواتها من الشيعة، وفيه: إن رسول الله ﷺ قال: «من رآني في النوم فقد رآني أنه لا ينبغي للشيطان أن يتمثل في صورتي»(٥).

وروى الترمذي في سننه بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل بي». ثم قال الترمذي: وفي الباب عن أبي هريرة وأبي قتادة وابن عباس وأبي سعيد وجابر وأنس وأبي مالك الأشجعي عن أبيه وأبي بكرة وأبي جحيفة، ثم قال: هذا حديث حسن صحيح(٦).

---

(١) صحيح البخاري ـ البخاري ج ٨ ص ٧١.
(٢) صحيح البخاري ـ البخاري ج ٨ ص ٧٢.
(٣) صحيح البخاري ـ البخاري ج ٨ ص ٧٢.
(٤) صحيح مسلم ـ مسلم النيسابوري ج ٧ ص ٥٤.
(٥) سنن ابن ماجة ـ محمد بن يزيد القزويني ج ٢ ص ١٢٨٤ و١٢٨٥.
(٦) سنن الترمذي ـ الترمذي ج ٣ ص ٣٦٥.

فالحديث وإن لم يبلغ حد التواتر لأنه لم يكن كذلك في المراتب الأولى لرواية الحديث، إلا أنه مشهور، كاد أن يكون متفقاً عليه بين علماء الحديث، مع أنه معتبر في حد نفسه عند كل من الشيعة على المشهور ولم يخالف في ذلك إلا من اشترط العلم في حجية الخبر كالسيد المرتضى، وهو معتبر عند السنة أيضاً، وحينئذ علينا أن ننصرف للبحث عن معناه وأثره الشرعي، فنقول:

يظهر من جماعة من علمائنا عدم أخذهم بمضمونه، أو تأويلهم له بخلاف ما يدل عليه ظاهره، مثل السيد المرتضى والشيخ المفيد.

أما السيد المرتضى فقد وجه في رسائله، إلى نفسه سؤالاً هو: ما تأويل ما يروى عنه ﷺ من قوله: «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي»، وقد علمنا أن المحق والمبطل، والمؤمن والكافر قد يرون النبي ﷺ ويخبر كل واحد منهم عنه بضد ما يخبر به الآخر، فكيف يكون رائياً له في الحقيقة مع هذا؟

وهذا السؤال يستبطن في الحقيقة المعضلة الأساس، ذلك أنه يترتب على مقولة «رؤيا النبي ﷺ كرؤيته في اليقظة» عالماً من التناقضات التي يجل عنها النبي ﷺ، فهو ﷺ لا تصدر عنه أقوال متناقضة، هذا من جهة، ومن جهة، نجد بين المختلفين في ما بينهم في المذاهب سواء على المستوى العقائدي، أم على المستوى الفقهي، نجد من كل فرقة من يدعي ما يوافق مذهبه ويخالف الأخرى. ولئن كان كثير من مدعي الرؤيا كاذبين في دعواهم، إلا أننا لا نستطيع أن نتهم الجميع بالكذب، بل المقطوع به أن فيهم من يصدق في دعواه أنه رأى النبي ﷺ في المنام. فإذا كان الأمر

كذلك، فإن الواقع والوجدان يكون منافياً لمضمون تلك الروايات، فما هو الحل؟ لا ريب أننا بحاجة إلى التوفيق بين الأمرين.

وقد شكلت هذه المعضلة مبرراً جوهرياً في عدم الأخذ بظاهر النص لدى جملة من أهل العلم، ومنهم السيد المرتضى، كما سنلحظ في جوابه الآتي، ومنهم الشيخ المفيد، كما سيأتي.

وقد أجاب السيد المرتضى عن ذلك السؤال بوجوه:

منها: أنه خبر واحد ضعيف من أضعف أخبار الآحاد، ولا معول على مثل ذلك.

وهذا الجواب يتفق مع المبنى الأصولي للسيد المرتضى، فإنه لا يرى حجية الخبر بمجرده وإن كان الرواة من العدول، إلا إذا قامت القرائن الدالة على قطعية صدوره، كما لو كان متواتراً ونحو ذلك من القرائن، والتي قد يكون منها أيضاً المستوى الإيماني للرواة، ومستوى وثاقتهم. إلا أن الذي لم نفهمه من السيد المرتضى عده هذا الخبر ضعيفاً، بل من أضعف أخبار الآحاد. فإن كان مراده الضعف في السند، فهو ليس إلا من جهة الحسن بن علي بن فضال راوي الرواية فإنه فطحي وليس إمامياً، إلا أن هذا لا يجعله من أضعف أخبار الآحاد، مع أنه ثبت في محله أن هذا لا يكفي لتضعيف الخبر إذا كان الراوي في نفسه ثقة، وإن كان فاسد المذهب والعقيدة. وإن كان المقصود من الضعف هجر الأصحاب له، وعدم العمل بمضمونه وعدم ترتيب الآثار عليه، وعدم الأخذ بظاهره فربما كان هذا الخبر من هذه الجهة ضعيفاً على بعض المباني، إلا أن هذا الضعف ليس ضعفاً يوجب البناء على عدم الصدور، بل هو متعلق بالدلالة،

والنقاش في عالم الدلالة واسع، لا حجية فيها أو في عدمها لإجماع أو مشهور. وتأويلهم للخبر لا يعني ضعفه.

أما بناؤه على عدم العمل بأخبار الآحاد فهذا مبنى قد ثبت في علم الأصول ضعفه، وأن الحجية لا تختص بمعلوم الصدور، بل تشمل كل خبر رواه ثقة في نقله، أي الصادق الضابط، أي الذي ليس من عادته الكذب والخطأ والسهو في النقل.

ومما أجاب به أيضاً: أنه مع تسليم صحته يمكن أن يكون المراد به: من رآني في اليقظة فقد رآني على الحقيقة، لأن الشيطان لا يتمثل بي لليقظان. فقد قيل: إن الشيطان ربما تمثل بصورة البشر. وهذا التشبيه أشبه بظاهر ألفاظ الخبر، لأنه قال: من رآني فقد رآني، فأثبت غيره رائياً له ونفسه مرئية، وفي النوم لا رائي له في الحقيقة ولا مرئي، وإنما ذلك في اليقظة. ولو حملناه على النوم، لكان تقدير الكلام: من اعتقد أنه يراني في منامه وإن كان غير راء له في الحقيقة، فهو في الحكم كأنه قد رآني. وهذا عدول عن ظاهر لفظ الخبر وتبديل لصيغته[1].

وهذا الجواب في الحقيقة لا ينسجم مع الروايات الواردة، فلا يصح أن يكون توجيهاً لها، لأنها صريحة في أن الرؤيا المقصودة هي رؤيا المنام لا رؤيا اليقظة. ومع هذا التصريح كيف يوجهها نحو رؤيا اليقظة. فالظاهر أنه ناظر إلى روايات أخر، غير الرواية التي نقلناها عن الشيخ الصدوق، بل ولا عن أغلب روايات السنة، مع أن

---

(١) رسائل المرتضى ـ الشريف المرتضى ج ٢ ص ١٢.

المفترض أن يكون السيد المرتضى قد اطلع على هذه الرواية، لأنه متأخر عن الشيخ الصدوق، وقد كانت كتبه عنده مشهورة بين العلماء آنذاك. كما أنه اطلع على روايات علماء أهل السنة، فكيف يذكر مثل هذا التوجيه المخالف لصريح الروايات.

وبهذا يتبين أن اعتماده الأساس على الجواب الأول أي نفي حجية الخبر لكنه من الآحاد، وهو رد للخبر سواء الوارد من طرقنا أم من طرقهم.

وعلى كل حال فإن السيد المرتضى قد توقف مليًا في الأخذ بهذا الخبر، من أجل المعضلة التي أشار إليها في السؤال، حيث يرى الرسول المؤمن والفاسق والمنافق، وكل يراه حسبما يريد، فهو إذن يتمسك بالوجدان لرد ما تدل عليه هذه الأخبار. وقد تقدم ذكر نماذج من هذا الاختلاف في الرؤى، واستخدامه في سياق صراع فكري، أو مذهبي، كل بحسب ما يرتئيه، وكانت المنامات من أحد أساليب الدعاية لمذهب ما، أو معتقداً ما، ولو في حدود دائرة ذلك المذهب من أجل تثبيت اتباعه.

وفي الحقيقة فإن الأمر الوجداني الذي دعا السيد المرتضى للإنكار، بعد أن لم يثبت لديه الخبر ولا حجيته، لهو بالأمر الذي لا يصح لأحد تجاوزه حين استعراض المقصود من الحديث، إلا بأن يكذب كل منا الآخر فيما يدعيه من رؤيا إذا كانت نتيجتها مخالفة لما يقتنع به، أو تربى عليه، وليس هذا بالإنصاف.

ليس من الإنصاف أن أتهم أنا الإمامي الأشعري، أو المالكي، أو أي كان من أتباع مذهب ما، بالكذب إذا ادعى رؤيا النبي ﷺ،

وأنه قد سمع منه ما يوافق مذهبه ويخالف مذهبي، كما ليس من الإنصاف لغير الإمامي أن يتهم الإمامي بالكذب إذا ادعى رؤية النبي ﷺ وقد سمع منه ما يوافق مذهب الإمامية ويخالف مذهب غيرهم، وهكذا الحال بالنسبة لسائر المذاهب الكلامية، ومثله الحال في الفقه.

وعندما قدمنا كلام السيد المرتضى هاهنا، فقد قصدنا إبراز هذه الإشكالية المحتاجة إلى توضيح وتفسير، فلا نغفل عنها في سياق شرح الحديث.

والى هذه المشكلة توجه الشيخ المفيد أيضاً عندما أنكر الصحة المطلقة لكون رؤية المنام كرؤية اليقظة، قال:

وأما رؤية الإنسان للنبي ﷺ أو لأحد الأئمة عليهم السلام في المنام فإن ذلك عندي على ثلاثة أقسام: قسم أقطع على صحته، وقسم أقطع على بطلانه، وقسم أجوز فيه الصحة والبطلان فلا أقطع فيه على حال. فأما الذي أقطع على صحته فهو كل منام رأى فيه النبي ﷺ أو أحد الأئمة عليهم السلام وهو فاعل لطاعة أو آمر بها، وناه عن معصية أو مبين لقبحها، وقائل لحق أو داع إليه، أو زاجر عن باطل أو ذام لما هو عليه. وأما الذي أقطع على بطلانه فهو كل ما كان على ضد ذلك لعلمنا أن النبي والإمام عليهما السلام صاحبا حق وصاحب الحق بعيد عن الباطل. وأما الذي أجوز فيه الصحة والبطلان فهو المنام الذي يرى فيه النبي ﷺ أو الإمام عليه السلام وليس هو آمراً ولا ناهياً، ولا على حال يختص بالديانات، مثل أن يراه راكباً أو ماشياً أو جالساً، ونحو ذلك. فأما الخبر الذي يروى عن النبي ﷺ من قوله:

«من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتشبه بي»، فإنه إذا كان المراد به المنام يحمل على التخصيص دون أن يكون في حال، ويكون المراد به القسم الأول من الثلاثة أقسام، لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي ﷺ في شيء من الحق والطاعات. . . وجميع هذه الروايات أخبار آحاد، فإن سلمت فعلى هذا المنهاج. وقد كان شيخي رحمه الله يقول إذا جاز من بشر أن يدعي في اليقظة أنه إله كفرعون، ومن جرى مجراه، مع قله حيلة البشر، وزوال اللبس في اليقظة، فما المانع من أن يدعي إبليس عند النائم بوسوسته له أنه نبيٌ، مع تمكن إبليس بما لا يتمكن منه البشر، وكثرة اللبس المعترض في المنام. ومما يوضح لك أن من المنامات التي يتخيل للإنسان أنه قد رأى فيها رسول الله والأئمة صلوات الله عليهم منها ما هو حق ومنها ما هو باطل، أنك ترى الشيعي يقول رأيت في المنام رسول الله ﷺ ومعه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يأمرني بالاقتداء به دون غيره، ويعلمني أنه خليفته من بعده، وأن أبا بكر وعمر وعثمان ظالموه وأعداؤه، وينهاني عن موالاتهم، ويأمرني بالبراءة منهم، ونحو ذلك مما يختص بمذهب الشيعة، ثم ترى الناصبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في النوم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وهو يأمرني بمحبتهم وينهاني عن بغضهم، ويعلمني أنهم أصحابه في الدنيا والآخرة، وأنهم معه في الجنة ونحو ذلك مما يختص بمذهب الناصبة، فتعلم لا محالة أن أحد المنامين حق والآخر باطل، فأولى الأشياء أن يكون الحق منهما ما ثبت بالدليل في اليقظة على صحة ما تضمنه، والباطل ما أوضحت الحجة عن فساده وبطلانه. وليس يمكن للشيعي أن يقول للناصبي إنك كذبت في قولك أنك رأيت رسول الله ﷺ لأنه يقدر أن يقول له مثل هذا

بعينه، وقد شاهدنا ناصبياً تشيع، وأخبرنا في حال تشيعه بأنه يرى منامات بالضد مما كان يراه في حال نصبه، فبان بذلك أن أحد المنامين باطل، وأنه من نتيجة حديث النفس أو من وسوسة إبليس ونحو ذلك، وأن المنام الصحيح هو لطف من الله تعالى بعيد عن المعنى المتقدم وصفه. وقولنا في المنام الصحيح إن الإنسان إذا رأى في نومه النبي ﷺ إنما معناه أنه كان قد رآه وليس المراد به التحقيق في اتصال شعاع بصره بجسد النبي وأي بصر يدرك به حال نومه، وإنما هي معان تصورت في نفسه تخيل له فيها أمر لطف الله تعالى له به قام مقام العلم وليس هذا بمناف للخبر الذي روي من قوله من رآني، فقد رآني لأن معناه فكأنما رآني وليس بغلط في هذا المكان إلا عند من ليس له من عقله اعتبار[١].

والملفت للنظر أن أيًا من السيد المرتضى والشيخ المفيد لم يشر إلى الرواية التي رواها الشيخ الصدوق بسنده المعتبر في من لا يحضره الفقيه، مع أن كتابه كان موجوداً بين أيديهم، وكانوا مطلعين على ما فيه. كما أن الشيخ المفيد لم يتعرض لرواية الإمام الرضا عليه السلام أو روايات أهل السنة المصرحة بكون الرؤيا رؤيا منام.

والفرق بين السيد المرتضى والشيخ المفيد، أن الأول أنكر القضية بالكلية، بينما الثاني قبل بها على تفصيل. أما ما نقله الشيخ المفيد عن شيخه من أنه إذا أمكن لإبليس أن يأتي في المنام ويدعي أنه إله، فلم لا يجوز أن يدعي أنه نبي، فهو محض إشكال يتجه نحو

(١) كنز الفوائد ـ أبو الفتح الكراجكي ص ٢١٠.

إثبات الإمكان العقلي للتمثل، وقد بيَّنا فيما سبق أن العقل لا يمنع من تمثل الشيطان بالنبي ﷺ في المنام، وإنما يمنع من تمثله في اليقظة. وليس البحث في الإمكان العقلي بل في النص الدال على عدم التمثل به ﷺ في المنام.

وقد يعترض على الشيخ المفيد من جهة أخرى، فهو بتقسيمه حالات رؤيا النبي والمعصوم عليه السلام إلى ثلاث حالات، يكون قد بنى مسبقاً على أن الشيطان يتمثل بالنبي ﷺ، وإلا فكيف احتمل بدواً أن يرى النبي ﷺ وهو يفعل الباطل. ومن يرى حجية الحديث له أن ينكر ذلك. ولكن قد يتمسك الشيخ المفيد بالوجدان، وبما يرى من الناس على كثرتهم واختلاف مذاهبهم إذ يدعون رؤية النبي ﷺ في المنام وهو يفعل الباطل، إذ لا شك في بطلان أحد منامين، منام يفضل أبا بكر ويقدمه، ومنام يسب فيه أبو بكر، وقد يكون كلاهما باطلين. فلم يجد الشيخ المفيد بدًا من تقييد الأحاديث، ورفض دلالتها على صحة رؤيته ﷺ في كل الحالات.

إلا أننا وإن اضطررنا لتقييد الحديث كي لا يشمل صورة رؤيا النبي ﷺ وهو على باطل، فإن هذا يفقد الحديث قيمته، مع أنه لا موجب للتشكيك فيما لو رئي ﷺ على حالة ليست باطلة ولا حالة طاعة، فلو كان بصدد الأخذ بالحديث لكان عليه أن يدخل هذا القسم الثالث في الرؤيا الصحيحة، فالظاهر أنه لا يريد الاستناد إلى الحديث بل إلى محض الاعتبارات العقلية، ومن هنا اعترض عليه المحقق البحراني في الدرة النجفية، بأنه إذا كانت القضية مجرد احتمالات عقلية لا نظر فيها للنص، فكيف لك أن تقطع بأن رؤيا النبي ﷺ

في حالة طاعة هي رؤيا صحيحة، فهل يمتنع أن يتمثل الشيطان بالنبي ﷺ في المنام، وهو في حالة طاعة. أما استناد الشيخ المفيد إلى أن الشيطان لا يتشبه بالنبي ﷺ في شيء من الحق والطاعات، فهو استناد لم يعلم مصدره، على رأي المحقق البحراني، ولا سيما بناء على ما ذكره من أن رؤيته ﷺ إنما هي عبارة عن معان تصورت في نفس الرائي يخيل إليه منها أنه رآه.

والظاهر أن مقصود البحراني من الاعتراض عليه تسجيل اعتراضات نقدية، لأن قول الشيخ المفيد «لأن الشيطان لا يتشبه بالنبي» إن كان منشؤه ما ذكره من عدم التشبه في شيء من الحق والطاعات فإنه لا دليل عليه، مع أنه إذا أمكن للشيطان أن يتشبه بالنبي في حالة ما، أمكن أن يتشبه به في كل الحالات، وإن كان منشؤه الروايات فهي ستكون دليلاً على أن الرائي لن يرى النبي ﷺ في حالة باطلة، فتكون نفس رؤياه علامة على أنه ليس في حالة باطلة، وهذا يقتضي الأخذ بالروايات من دون تمييز بين حالة وأخرى. وتكون رؤية النبي ﷺ في حالة باطلة، دليلاً وجدانياً منافياً للروايات، لا أنه يوجب تقييدها، فإنه بلا موجب. ويجب في أقل التقادير إدخال الحالة الثالثة في الرؤيا الصحيحة، أي الحالة التي لا تكون باطلة، ولا تكون حالة طاعة.

مع أننا لو أردنا البناء على التمييز بين أن تكون الحالة باطلة فلا تصدق الرؤيا، وبين أن تكون في حالة حقة فتصدق، يقتضي أن نكون على علم مسبق قبل المنام بالحالة الباطلة والحالة الحقة، وهذا وإن كان ممكناً بلحاظ بعض القضايا الاعتقادية كالتوحيد والنبوة، لكنه

خفي في غيرها، فيعود الأمر فيها إلى فهم الرائي، فمن يرى مثلاً أن إمامة الإمام علي عليه السلام هي الحقة، فإنه سيحكم على من رأى النبي صلى الله عليه وآله دالاً على أمر آخر بأنها رؤيا كاذبة، وهكذا العكس.

وممن حمل الروايات على معنى هو خلاف ظاهرها، العلامة المجلسي في البحار، فإنه قال: والظاهر أنها ليست رؤية بالحقيقة، إنما هو بحصول الصورة في الحس المشترك أو غيره بقدرة الله تعالى. والغرض من هذه العبارة بيان حقيقة الرؤيا وأنها من الله لا من الشيطان، وهذا المعنى هو الشائع في مثل هذه العبارة، كأن يقول رجل: من أراد أن يراني فلير فلاناً، أو من رأى فلاناً فقد رآني، أو من وصل فلاناً فقد وصلني، فإن كل هذه محمولة على التجوز والمبالغة، ولم يرد بها معناها حقيقة[١].

إلا أن المحقق البحراني الذي ذهب إلى أن رؤيا النبي صلى الله عليه وآله في المنام هي رؤيا على سبيل الحقيقة، رد على المجلسي، نافياً أن تكون الرؤية على سبيل المجاز، وذكر لذلك وجوهاً:

قال: أما أولاً فلما رواه في كتاب كمال الدين[٢] من أنه روي في الأخبار الصحيحة عن أئمتنا عليهم السلام من رأى رسول الله صلى الله عليه وآله أو أحداً من الأئمة عليهم السلام قد دخل مدينة أو قرية في منامه فإنه أمن لأهل المدينة والقرية مما يخافون ويحذرون وبلوغ لما يأملون ويرجون، فإن ترتب هذه الأمور على مجرد وجود الصورة في الحس المشترك ونحوه بعيد غاية البعد.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٨٥ صفحة ٢٣٥.
(٢) كمال الدين للصدوق ج ١ ص ٢١٠. وهذه الرواية مرسلة.

قال: وأما ثانياً فلما تقدم من أن الرؤيا الصادقة عبارة عما تراه الروح بعد خروجها من الجسد حال النوم وصعودها إلى الملكوت، فكل ما رأته ثمة فهو حق. وهذا القائل قد اعترف بذلك في الكتاب المشار إليه، فما المانع من أن يتصل بأحد منهم عليهم السلام وهم في ذلك العالم بلا ريب، والمورد في الأخبار من أنهم عليهم السلام ينقلون بعد الدفن بأجسادهم الشريفة إلى السماء، وأن الزائر إنما يزور مواضع قبورهم فهم أحياء في السماء منعمون كما كانوا في الدنيا وأي مانع من اتصال الروح بهم هناك.

قال: وأما ثالثاً فلا ريب أن الأخبار قد استفاضت بأنه ما من ميت يموت في شرق الأرض وغربها إلا ويرى حال موته النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، وليست هذه الرؤية بحس البصر لشمول ذلك للأعمى ومن تعطل بصره في تلك الحال، بل الرؤية إنما هي بهذه الروح التي يصعد وقت النوم، وهذه الرؤية حال النوم على حسب تلك الرؤية حال الموت، ولا أظن هذا القائل يلتزم بالتجوز في رؤيتهم صلوات الله عليهما حال الموت، لاستفاضة الأخبار وصحتها وصراحتها بكون الرؤية حقيقة، غاية الأمر أن في المقام إشكالاً مذكوراً في محله من أنه كيف يمكن القول بحضورهم عليهم السلام على جهة الحقيقة مع جواز أن يموت في ساعة واحدة ألوف من الناس في أطراف الأرض من شرقها وغربها وشمالها وجنوبها، بأن هذا مجرد استبعاد عقلي، فإنا لما قام لنا الدليل على ذلك وجب علينا القبول به، وبيان كيفيته ذلك غير واجب علينا، فإن ذواتهم المقدسة عليها مسحة من الذات الإلهية التي تاهت في بيداء معرفتها العقول،

وضلت في الوصول إلى حقيقتها ألباب الفحول، ونورهم الذي خلقوا منه متشعب من نور ذاته السبحانية، ومشتق من لوامع تلك البروق الصمدانية.. فلا مطمع للوقوف على كنه حقائق ذواتهم المقدسة..

ثم ذكر إشكال الشيخ المفيد والمرتضى، ثم أجاب عنه بقوله: والجواب عن ذلك أنه لا بد من تخصيص الخبر المذكور برؤيا المؤمن خاصة لما عرفت آنفاً من اشتراط صحة الرؤيا غالباً بالإيمان والصلاح والتقوى. وإن فرضنا صدق رؤيا غيرهم فهو نادر، فيحمل الخبر على ما هو الأكثر الغالب، ومثل هذا الحمل غير عزيز في الأخبار كما لا يخفى على من جاس تلك الديار..[١].

والحقيقة فإن الشيخ المفيد لم يترك الإشكال بغير جواب، بل جعل الجواب عنه أن تكون الرؤية في حالة طاعة أو حقانية، وأن هذا لا يعرف إلا من معارف اليقظة مما ثبت بالدليل والبرهان.

والملاحظات الواردة على كلام المحقق البحراني كثيرة:

منها: ما ذكره في «أولاً»، فهو استدل بخبر مرسل أرسله الشيخ الصدوق في كمال الدين، وهو لا يصلح للاستدلال خاصة في أمر خلافي، قد يكون له أثر عقائدي.

ومنها: ما ذكره في «أولاً» أيضاً، فإنه لا يتنافى مع كلام العلامة المجلسي، والمفروض أنه يريد الرد عليه، لأن تعبير ذلك بالأمن

(١) الدرر النجفية ص ١٥٤ طبعة حجرية.

لأهل المكان لا يدل إلا على أن الرؤيا صادقة لها تعبير، ولا تدل على أن الرؤيا هي رؤيا النبي صلى الله عليه وآله أو غيره من أهل بيت العصمة عليهم السلام على نحو الحقيقة. إلا أن يميز بين رؤيا النبي صلى الله عليه وآله في المنام وأحواله، فهو رأى النبي صلى الله عليه وآله حقيقة لكنه لم يدخل إلى المدينة حقيقة.

ومنها: ما ذكره في «ثانياً»، فإن البحث ليس فيما هو المانع من رؤيتهم عليهم السلام على نحو الحقيقة، بل في أن كل رؤيا لهم هي كذلك. ومثله الكلام فيما ذكره في «ثالثاً».

ومنها: ما ذكره في الرد على المعضلة التي أشار إليها السيد المرتضى في سؤاله، والشيخ المفيد في كلامه، فإنه حلها باشتراط صفات في الرائي، وهذا لا دليل عليه في النص نفسه، مع أنه إذا أمكن تقييد النص بصفات في الرائي أمكن تقييد النص بجهات أخرى، كالقيد الذي ذكره الشيخ المفيد، ولا مرجح لتقييد على آخر لعدم الدليل على أي من التقييدات.

ومنها: أننا لو بنينا على أن الرؤيا هي رؤيا على نحو الحقيقة، ولو كانت بنحو رؤية الروح للروح بنحو يناسب الروح، كما ذكره في «ثالثاً»، لكان لازمه البناء على حجية ما يسمعه من أقوال، ولكنه لا يعترف بذلك. وهنا يقع السؤال عن معنى كون الرؤيا في المنام رؤيا على سبيل الحقيقة إن لم تكن للأفعال والأقوال حجية.

وممن تصدى لتفسير ذلك النص الشيخ الطريحي في مجمع البحرين قال: يعني أن رؤيته صلى الله عليه وآله ليست أضغاث أحلام ولا تخيلات شيطان، والرؤية بخلق الله لا يشترط فيها مواجهة ولا مقابلة إن قبل

الجزاء هو الشرط، أجيب بإرادة لازمه، أي فليستبشر فإنه رآني[١].

والخلاصة أن آراء علماء الإمامية هي، بين ناف للنص وعدم الأخذ بمدلوله، وبين مؤول له على أن المراد به أن رؤياه ﷺ ورؤيا أي من المعصومين عليهم السلام ليست رؤية لهم عليهم السلام بنحو الحقيقة حقيقة، بل المقصود أنها كذلك مجازاً، أي أن الرؤيا صادقة وأنها من الله تعالى، وليست من أضغاث الأحلام، وبين آخذ به بما له من الظهور، وأن الرؤيا رؤية لهم حقيقة.

وأما علماء أهل السنة فقد اختلفوا في المسألة على أقوال[٢]:

فمنهم، مثل أبو بكر بن الطيب الباقلاني، من ذهب إلى أن المراد أن رؤياه ﷺ صحيحة، بمعنى أنها ليست أضغاثاً، ولا من تشبيهات الشيطان، مستشهداً على ذلك بما ورد في بعض الأحاديث بأنه من رآه ﷺ «فقد رأى الحق»، مفسراً قوله ﷺ: «فإن الشيطان لا يتمثل بي»، بأنه إشارة إلى أن رؤياه لا تكون أضغاثاً.

ومنهم من فصل، مثل القاضي عياض، الذي ربط المسألة بالصورة المرئية والصفة، فإن رآه على الصفة التي كان عليها ﷺ في حياته لا على صفة مضادة كانت الرؤيا حقيقية، وإن رآه على غيرها كانت تأويلاً لا رؤيا حقيقية، فإن من الرؤيا ما يخرج على وجهه، ومنها ما يحتاج إلى تأويل.

---

(١) مجمع البحرين ـ الشيخ الطريحي ج ٢ ص ١٢١.
(٢) سبل الهدى والرشاد ـ الصالحي الشامي ج ١٠ ص ٤٦٠ فما بعدها. وراجع أيضاً لهذه الأقوال شرح أصول الكافي ـ مولى محمد صالح المازندراني ج ٧ ص ٣٧٦.

ويؤيد كلامه ما روي عن يزيد الفارسي، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم زمن ابن عباس، فقلت لابن عباس إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم. قال ابن عباس: فإن رسول الله كان يقول إن الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بي، فمن رآني في النوم فقد رآني، فهل تستطيع أن تنعت لنا هذا الرجل الذي رأيت؟ قلت: نعم، رأيت رجلاً بين الرجلين جسمه ولحمه أسمر إلى البياض، حسن المضحك، أكحل العينين، جميل دوائر الوجه، قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره. فقال ابن عباس: لو رأيته في اليقظة ما استطعت أن تنعته فوق هذا[١].

وفي بعضها أن أحدهم رأى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فعرضه على ابن عباس، فطلب توصيفه، فشبهه بالحسن بن علي عليه السلام، فقال له ابن عباس: إنه كان يشبهه[٢].

ومنهم، مثل النووي، من أطلق واعتبر أن رؤياه صلى الله عليه وآله وسلم هي رؤية له حقيقة، سواء رآه على صفته المعروفة أو غيرها ناسباً له إلى المازري. واستناداً إلى إطلاق النصوص رد النووي على العياض.

وهذه الأقوال الثلاثة، تشبه الأقوال الثلاثة المعروفة أيضاً بين الإمامية، وما قاله العياض قريب مما قاله الشيخ المفيد، فإن كون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على حالة باطلة ليست من صفاته صلى الله عليه وآله وسلم.

وما قاله العياض، هو ما يحكى عن ابن سيرين، حيث إنه كان

---

(١) مسند ابن حنبل ج ١ ص ٣٦١.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٢.

إذا قال له رجل إنه رأى النبي ﷺ كان يسأله «صف الذي رأيته»، فإن وصف له صبغة لم يعرفها قال لم تره.

واعتبر الحافظ ابن حجر أن ما قاله العياض هو توسط حسن، ثم قال:

ويمكن الجمع بينه وبين ما قاله المازري، بأن تكون رؤياه على الحالين حقيقة، لكن إذا كان على صورته كأن يرى في المنام على ظاهره لا يحتاج إلى تعبير، وإن كان على غير صورته كان النقص من جهة الرائي لتخيله الصفة على غير ما هي عليه، ويحتاج ما يراه في ذلك المنام إلى التعبير. وعلى ذلك جرى علماء التعبير فقالوا: إذا قال الجاهل رأيت النبي ﷺ فإنه يسأل عن صفته فإن وافق الصفة المروية وإلا فلا يقبل منه، وأشاروا إلى ما إذا رواه على هيئة تخالف هيئته مع أن الصورة كما هي فقال أبو سعد أحمد بن محمد بن نصر من رأى نبيًا على حاله وهيئته فذلك دليل على صلاح الرائي وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ومن رآه متغير الحال عابساً مثلاً فذاك دال على سوء حال الرائي[١].

وهذا الجمع ليس إلا قول الباقلاني، فليست الرؤيا حينئذ إلا رؤيا صادقة تارة تستغني عن التعبير، وتارة تحتاج إليه. وهو ما صرح به لاحقاً عندما قال: إن المراد من رآني في المنام على أي صفة كانت فليستبشر، ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق التي هي من الله لا الباطل الذي هو الحلم فإن الشيطان لا يتمثل بي، قوله فإن الشيطان لا يتمثل بي. ثم ساق الروايات التي هي بهذا المضمون[٢].

---

(١) فتح الباري ج ١٢ ص ٣٤١.
(٢) فتح الباري ج ١٢ صفحة ٣٤٤.

ومنهم من قال: إن الشيطان لا يتصور على صورته أصلاً فمن رآه في صورة حسنة فذلك حسن، في دين الرائي، وإن كان في جارحة من جوارحه ﷺ شين أو نقص، فذلك خلل في الرائي من الدين. وقد أيد بعضهم هذا بالوجدان، وأنه قد جرب فوجد على هذا الأسلوب. قال: وكذلك يقال في كلامه ﷺ في النوم أنه يعرض على سنته فما وافقها فهو حق، وما خالفها فالخلل في سمع الرائي فرؤيا الذات الكريمة حق، والخلل إنما هو في سمع الرائي أو بصره[١].

وليس هذا القول إلا تفصيلاً يشبه تفصيل العياض والشيخ المفيد من جهة، ويشبه قول الباقلاني من جهة أخرى. على هذا القول سيختلف الحال بين مذهب ومذهب، وستكون التأويلات والتعبيرات خاضعة للمعايير المذهبية التي يعتنقها المعبر.

وبعد أن استعرض ابن حجر الآراء، وما استظهره سابقاً، عاد واستظهر جمعاً بين ما ذكروه، فقال: ويظهر لي في التوفيق بين جميع ما ذكروه أن من رآه على صفة أو أكثر مما يختص به فقد رآه، ولو كانت سائر الصفات مخالفة، وعلى ذلك فتفاوت رؤيا من رآه فمن رآه على هيئته الكاملة فرؤياه الحق الذي لا تحتاج إلى تأويل وعليها يتنزل قوله (فقد رأى الحق) ومهما نقص من صفاته فيدخل التأويل بحسب ذلك، ويصح إطلاق أن كل من رآه في أي حالة من ذلك فقد رآه حقيقة[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٢.

إلا أنه عود للقول السابق، أي قول الباقلاني.

وحتى الآن لم تزدد الأقوال عند علماء السنة، عند التحقيق، عن الثلاثة المذكورة.

ونقل ابن حجر عن الشيخ أبي محمد بن أبي جمرة ما ملخصه أنه يؤخذ من قوله: «فإن الشيطان لا يتمثل بي»، أن من تمثلت صورته ﷺ في خاطره من أرباب القلوب، وتصور له في عالم سره أنه يكلمه، أن ذلك يكون حقًّا، بل ذلك أصدق من مرأى غيرهم لما من الله تعالى به عليهم من تنوير قلوبهم(١).

وعن القرطبي أنه قال: اختلف في معنى هذا الحديث:

فقال قوم: هو على ظاهره، فمن رآه في النوم رآه على حقيقته، كمن رآه في اليقظة سواء. قال: وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراه رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيى الآن ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس، ويخاطبونه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب، لأنه جائز أن يرى في الليل وفي النهار مع اتصال على حقيقته في غير قبره، وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل.

والإشكال منه في أنه يلزم أن لا يراه رائيان اثنان مردود، فإنه

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٣.

يمكن أن يراه اثنان في آن واحد إذ ليس المقصود هنا أن يرى بنفس بدنه الذي كان عليه، فقد يكون هناك جسم ملائم لعالم المثل أو عالم البرزخ. والبحث في هذا الأمر معروف مشهور، قد بحثه علماء الإمامية في مبحث رؤية المؤمن النبي ﷺ والآل ﷺ حال احتضاره، وقد يحتضر في آن واحد المئات من المؤمنين. ولهذا البحث جنبة فلسفية ترتبط بالسعة الوجودية لروح النبي ﷺ وآل بيته ﷺ، وليس هنا محل التفصيل فيها.

قال: وقالت طائفة: معناه أن من رآه على صورته التي كان عليها. قال: ويلزم منه أن من رآه على غير حقيقته أن تكون رؤياه من الأضغاث، ومن المعلوم أنه يرى في النوم على حالة تخالف حالته في الدنيا من الأحوال اللائقة به، وتقع تلك الرؤيا حقًّا كما لو رئي ملأ داراً بجسمه مثلاً، فإنه يدل على امتلاء تلك الدار بالخير، ولو تمكن الشيطان من التمثيل بشيء مما كان عليه أو ينسب إليه لعارض عموم قوله «فإن الشيطان لا يتمثل بي».

ثم قال: فالأولى أن تنزه رؤياه، وكذا رؤيا شيء منه، أو مما ينسب إليه عن ذلك، فهو أبلغ في الحرمة وأليق بالعصمة، كما عصم من الشيطان في يقظته. والصحيح في تأويل هذا الحديث أن مقصوده أن رؤيته في كل حالة ليست باطلة ولا أضغاثاً، بل هي حق في نفسها لو رئي على غير صورته، فتصور تلك ليس من الشيطان، بل هو من قبل الله تعالى ويؤيده قوله: «فقد رأى الحق» أي رأى الحق الذي قصد إعلام الرائي، فإن كانت على ظاهرها، وإلا سعى في تأويلها، ولا يهمل أمرها، لأنها إما بشرى بخير أو إنذار من شر، إما ليخيف

الرائي وإما لينزجر عنه، وإما لينبه على حكم يقع له في دينه أو دنياه[١].

وبعد أن ذكر ابن حجر، الروايات المتعلقة برؤية الرسول ﷺ في المنام، قال بعد أن ناقش في أسانيد بعضها، نقل عن ابن سيرين أنه كان إذا قص عليه رجل أنه رأى النبي ﷺ قال له: صف لي الذي رأيته فإن وصف له صفة لا يعرفها قال لم تره. وقد أيد ابن حجر ذلك بما روي عن ابن عباس مثله. ثم ذكر له معارضاً رواها أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «من رآني في المنام فقد رآني فإني أُرى في كل صورة». لكنه لم يرتض هذا الحديث لضعف في سنده. ومع ذلك جمع بينهما بما قاله القاضي أبو بكر بن العربي رؤية النبي ﷺ بصفته المعلومة إدراك على الحقيقة ورئيت على غير صفته إدراك للمثال، فإن الصواب أن الأنبياء لا تغيرهم الأرض، ويكون إدراك الذات الكريمة حقيقة، وإدراك الصفات إدراك المثل. قال: وشذ بعض القدرية، فقال: الرؤيا لا حقيقة لها أصلاً. وشذ بعض الصالحين، فزعم أنها تقع بعيني الرأس حقيقة. وقال بعض المتكلمين: هي مدركة بعينين في القلب[٢].

أقول:

ولقد تبين لك مما سبق أن الأقوال منحصرة في ثلاثة، والظاهر أن القول الحق فيها، أن رؤيا النبي ﷺ في المنام رؤيا صادقة، بمعنى أن لها تعبيراً يلائم ما ورد في الرؤيا، ليكون لها مدلول واقعي

(١) فتح الباري ج ١٢ ص ٢٣٨.

(٢) فتح الباري - ابن حجر ج ١٢ ص ٣٣٨.

صحيح. وقد يكون التعبير واضحاً تمام الوضوح فيستغني عن معبر، وقد يحتاج الأمر إلى معبر.

وقد أشارت بعض هذه الأقوال إلى قضية مهمة في محل البحث، وهي كيف يعرف الرائي أنه يرى رسول الله صلى الله عليه وآله، فهل رآه سابقاً حتى يتأكد أنه رأى الرسول صلى الله عليه وآله، وهل يكفي أن يخطر على قلب الرائي في المنام أنه الرسول لنجعله مصداقاً للحديث، أم لا بد من معيار محدد.

وقد أيد بعض محشي شرح المازندراني على أصول الكافي أن تكون المعرفة من خلال ما يلهم في قلب الرائي وإلا فليس أحد ممن جاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يعرفه بصورته حتى يعلم أن المتمثل بصورته هو أو بغير صورته. فإن قيل: قد يرى رسول الله صلى الله عليه وآله ويلهم الرائي أنه هو صلى الله عليه وآله وهو شبيه بزيد مثلاً، ويراه الآخر في صورة رجل آخر وشبيهاً بعمرو ويلهم أيضاً أنه هو، فلا بد أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله صور مختلفة أو لا يكون لهذه الروايات مصداق في الخارج. قلنا: تمثل أرواح الأنبياء في صور مختلفة غير مستبعد، لكن لا بد أن يكون صورة مناسبة بحيث إذا ألهم الرائي أنه رسول الله صلى الله عليه وآله أي تمثل روحه في هذه الصورة لا يستبشعه. وبالجملة الإلهام من عالم الغيب يلقى إلى قلب الرائي ويعرف هو صحته بعلم ضروري لا يشك فيه، وهذه الصورة بهذه الكيفية لا تكون من الشيطان على ما أخبر به الإمام عليه السلام[١].

---

(١) راجع تعليقة العلامة الشعراني على شرح المازندراني لأصول الكافي ج ٧ ص ٣٧٦.

ويؤيد ما قاله، الرواية المروية عن الإمام الرضا عليه السلام، التي نقلناها في بداية البحث، وقلنا إنها الرواية الوحيدة التي يمكن اعتبارها على مذهب الإمامية. فإن الإمام عليه السلام لم يسأل السائل عن صفة من رأى.

ومع ذلك لم يشر أي من الباحثين الآخذين بظاهر النص، إلى المعضلة الأساسية التي أشار إليها كل من الشيخ المفيد والسيد المرتضى، وهي قضية جديرة بأن تشكل المفصل في هذا البحث، إذ لا يمكن أن يرد نص مخالف للوجدان بهذا المستوى من المخالفة، لذا فنحن مضطرين لإيجاد حل لها، لو كنا مصرين على الأخذ بظاهر النص، فإنه لا يمكن هذا الأخذ إلا بحل تلك المعضلة، وإلا تكون في نفسها قرينة على صرف الخبر عن ظاهره. ولا سبيل لإنكار النص، بعد أن ثبتت حجيته.

إلا أن النص لم يدل على أكثر من أن من رأى الرسول صلى الله عليه وآله بصورته فقد رآه حقًّا، لأن الشيطان لا يتمثل بصورته. ولو كان المقصود من الرؤيا رؤيا مطلق من يخطر ببال الرائي أنه الرسول صلى الله عليه وآله، لم يكن من مناسبة بين تعليل الرؤيا بأن الشيطان لا يتمثل بصورته. نعم ذلك المقصود ممكن في بعض روايات أهل السنة، لكنها ليست كذلك في روايتنا التي نعتمد عليها، بل ولا في كثير من روايات أهل السنة أيضاً. أما أن الإمام الرضا عليه السلام لم يستفصل من السائل عن صورة من رأى، فربما كان الإمام عليه السلام يعرف مسبقاً أن من يدعي الرؤيا أمامه على علم بصفات النبي صلى الله عليه وآله وهيئته، إذ لا دليل من النص نفسه على أن الرائي كان يجهل ذلك عن

النبي ﷺ، فليس هنا إلا السكوت وهو لا يصلح دليلاً على عدم الرائي بذلك.

وبهذا أيضاً يمكن تعميم الرؤيا لرؤيا الأوصياء عليهم السلام، بل ولرؤيا شيعتهم عليهم السلام، وتخصيصهم بخصوص الكمل لا دليل عليه من النص، لكن لا شك أن المقصود منهم من يعترف الأئمة عليهم السلام بكونهم من شيعتهم، ويمكن في هذه الحال التعميم لغير الإمامية ممن خلصت نيته وكانت مخالفته لخلل في الاعتقاد لا لعناد.

لكن هذا لا يعني أن رؤيا النبي ﷺ، والمعصومين عليهم السلام في المنام هي كرؤياهم في اليقظة، وإلا فإنه لا مناسبة حتى يستشهد الإمام الرضا عليه السلام بعد ذلك بقوله ﷺ: «وإن الرؤيا الصادقة جزء من سبعين جزءاً من النبوة. فمعنى أن من رأى النبي في المنام فقد رآه، أن هذه الرؤيا صادقة، لكنها تارة تكون مستغنية عن التعبير، كالرؤيا التي رآها الرجل من خراسان، وتارة تحتاج إلى تعبير.

ويؤيد هذا المعنى بعض الروايات، فمن ذلك ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عمن سمع حنان بن سدير الصيرفي قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وبين يديه طبق مغطى بمنديل، فدنوت منه وسلمت عليه، فرد السلام ثم كشف المنديل عن الطبق، فإذا فيه رطب فجعل يأكل منه، فدنوت منه فقلت: يا رسول الله، ناولني رطبة. فناولني واحدة، فأكلتها ثم قلت: يا رسول الله ناولني أخرى، فناولنيها فأكلتها، فجعلت كلما أكلت واحدة سألته أخرى، حتى أعطاني ثماني رطبات فأكلتها ثم طلبت منه أخرى، فقال لي: حسبك. قال: فانتبهت من منامي، فلما كان من الغد دخلت على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وبين يديه طبق

مغطى بمنديل كأنه الذي رأيته في المنام بين يدي رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فرد عليَّ السلام ثم كشف الطبق فإذا فيه رطب. فجعل يأكل منه، فعجبت لذلك وقلت: جعلت فداك، ناولني رطبة. فناولني فأكلتها، ثم طلبت أخرى حتى أكلت ثماني رطبات، ثم طلبت منه أخرى فقال لي: لو زادك جدي رسول الله ﷺ لزدناك. فأخبرته فتبسم تبسم عارف بما كان.

وقد روى ما يقرب منها الحاكم أبو عبد الله بإسناده عن أبي حبيب النباجي، المتقدمة في بعض المباحث السابقة، وفيها أنه رأى النبي ﷺ قد ناوله قبضة من تمر فكانت ثمانية عشر فتأولها أنه سيعيش بعدد كل تمرة سنة، وأنه وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام بعد عشرين يوماً إلى المدينة، فتوجه إليه، وسلم عليه واستدعاه، وناوله قبضة من تمر، فكان بنفس العدد الذي ناوله إياه الرسول ﷺ في المنام، فقال له: زدني منه يا ابن رسول الله. فقال: «لو زادك رسول الله ﷺ لزدناك»[١].

فقد قبض في اليقظة ما قبضه من رسول الله ﷺ في المنام، فاستغنت رؤياه عن التعبير، وكان ما رآه في اليقظة تأويلاً مما رآه في المنام فسرّه له الإمام عليه السلام.

والذي يدل على اشتراط أن تكون رؤيا النبي ﷺ بصورته، أن نفس التعبير مستعمل لبيان منع تمثل الشيطان في صورة النبي ﷺ في حال اليقظة، فمن ذلك ما رواه الكشي بسند معتبر عن بريد بن معاوية العجلي، قال: كان حمزة بن عمارة الزبيدي لعنه الله يقول

(١) أعلام الورى للطبرسي ج ٢ ص ٥٤.

لأصحابه: إن أبا جعفر عليه السلام يأتيني في كل ليلة، ولا يزال إنسان يزعم أنه قد أراه إياه، فقدر لي أني لقيت أبا جعفر عليه السلام فحدثته بما يقول حمزة، فقال: كذب عليه لعنة الله ما يقدر الشيطان أن يتمثل في صورة نبي ولا وصي نبي[1].

فكما لا يكفي في اليقظة مجرد اعتقاد أن من رآه هو النبي، لأن العبرة بأن يكون من رآه مجسداً لصورة النبي صلى الله عليه وآله أو وصيه، فكذلك في المنام، فالعبارتان متحدتان في المعنى، وإن كانت إحداهما بلحاظ عالم اليقظة والأخرى بلحاظ عالم الرؤيا.

ويؤيد ما ذكرنا الرؤيا المعروفة عن الشيخ المفيد، أنه رأى السيدة الزهراء عليها السلام قد أتته بالحسنين لتعليمهما، وفي اليقظة جاءته والدة المرتضى والرضي لتعليمهما، فلم يكن الحسنان عليهما السلام في هذه الرؤيا إلا رمزين لأبناء الزهراء عليها السلام، فالصورة أعني صورة أم تأتي بولديها واحدة، لكن الأشخاص مختلفون، فلئن رأى السيدة الزهراء عليها السلام حقيقة فأين الحقيقة في رؤية الحسنين عليهما السلام، وإن كانت الرؤيا لا تخلو من تكريم للمرتضى والرضي أيضاً، إلا أنه تعبير لرؤيا صادقة وليس أكثر من ذلك.

وقد سبق ذكر بعض الروايات المعتبرة في أن دين الله تعالى أعز من أن يؤخذ من المنام، فإذا كان الأمر كذلك فكيف تكون رؤيتنا لنبي الله تعالى صلى الله عليه وآله كرؤيتنا له في اليقظة، ولا تكون لهذه الرؤيا أي حجية في عالم الأحكام الشرعية، إن هذا إلا تناقض.

---

(١) اختيار معرفة الرجال ـ الشيخ الطوسي ـ ج ٢ ـ ص ٥٩٣.

ومن هنا لم يذهب أحد من علمائنا إلى حجية الرؤيا حتى الذين فسروا الرؤيا على أنها رؤيا له ﷺ حقيقة، وهو مستغرب من هؤلاء. وقد قدمنا كلام العلامة الحلي في الرد على من سأله عن حجية الرؤيا.

والخلاصة: أن من رأى النبي ﷺ في الرؤيا فهو لم ير إلا النبي ﷺ، لكنها رؤيا منام، وتبقى لها أحكام تلك الرؤيا، وليست رؤيا يقظة لتأخذ أحكامها. وأحكام رؤيا المنام أنها تارة تكون صادقة وأخرى كاذبة، ورؤيا النبي ﷺ في المنام لا تكون إلا صادقة. والرؤيا الصادقة تارة تحتاج إلى تعبير وأخرى لا تحتاج إليه. وعلى كل تقدير فهي ليست رؤيا لتبلغ الأحكام، ولا لتوثيق الرواة، ولا لتأييد مذهب على آخر، ولا لتثبيت صحة كتب وروايات.

ولسنا المعنيين بحل إشكال: من أين لنا أن نعرف إذا كان من نراه هو النبي ﷺ، لأن هذا الشرط هو ما نص عليه الخبر لا مجال للخروج عنه. وفي أفضل التقادير يمكن القول بأنه يشترط أن يقتنع الرائي بأنه رأى النبي، وأن يبقى هذا الاقتناع مستمراً إلى ما بعد اليقظة، فلو وقع في قلبه أثناء الرؤيا أنه يرى النبي ﷺ، ثم عندما استيقظ أدرك من رآه ليس النبي، بل هو فلان مثلاً، فإن رؤياه لن تكون مشمولة للحديث، لأنه لن يدعي في هذه الحال أنه رأى النبي، بل هو يعلم أنه رأى غيره وقد تخيل أنه النبي، فالتخيل هنا محرز بالوجدان. والدلالة على جلالة المرئي ليست إلا تعبيراً للرؤيا.

ولو اطلع على صفات النبي ﷺ وعلم أن من رآه لا يملك

تلك الصفات علم أنه لم ير النبي ﷺ، وفي هذه الحال يمكن أن تكون الرؤيا من الأضغاث.

وإذا لم ير الشخص، كما لو كان محجوباً عنه، فإنه لن يستطيع بأي حال من الأحوال التأكد من أنه رأى النبي ﷺ، وربما كانت هذه الرؤيا كناية عن بعد الشخص عن النبي ﷺ.

والخلاصة أن الوجدان، وواقع الأمور يشهد بأنه ليس كل من رأى في منامه من يعتقد أنه الرسول ﷺ كانت رؤيا صادقة، ولا كل من رأى الرسول ﷺ فكأنه رآه حقيقة، وهكذا الكلام فيمن رأى أحد المعصومين عليهم السلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي.
- مفردات الراغب الأصفهاني.
- أصول الكافي للكليني.
- التوحيد للمفضل بن عمر الجعفي.
- أمالي الصدوق.
- من لا يحضره الفقيه.
- كمال الدين وتمام النعمة ـ الشيخ الصدوق.
- كتاب المؤمن للحسين بن سعيد.
- الفصول المختارة ـ الشيخ المفيد.
- أمالي الطوسي.
- اختيار معرفة الرجال ـ الشيخ الطوسي.
- تفسير مجمع البيان ـ الشيخ الطبرسي.
- تفسير نور الثقلين للحويزي.
- تفسير العياشي.
- المجازات النبوية، للشريف الرضي.
- رسائل المرتضى ـ الشريف المرتضى.
- تفسير التبيان للشيخ الطوسي.
- بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي.
- سعد السعود ـ السيد ابن طاووس الحسني.
- شرح أصول الكافي ـ مولى محمد صالح المازندراني.
- أعلام الورى للطبرسي.
- قوانين الأصول ـ الميرزا القمي.
- الفوائد الحائرية ـ الوحيد البهبهاني.
- الدرر النجفية.
- الشيعة وفنون الإسلام للصدر.
- الغدير للأميني.
- صراط النجاة.
- زاد المسير لابن الجوزي.
- الدر المنثور، للسيوطي.
- شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد.
- مسند أحمد ـ الإمام أحمد بن حنبل.
- كنز العمال، المتقي الهندي.
- كنز الفوائد ـ أبو الفتح الكراجكي.
- السنن الكبرى ـ النسائي.
- التمهيد لابن عبد البر.
- روضة الطالبين ـ محيي الدين النووي.
- كشاف القناع ـ البهوتي.
- فتح الباري لابن حجر.
- الإصابة لابن حجر.
- اعتقاد السنة لابن منصور.
- جامع كرامات الأولياء للنبهاني.
- مختصر تاريخ دمشق لابن منظور.
- طبقات الحنابلة لأبي يعلى.
- فضائل الصحابة لابن حنبل.
- حلية الأولياء لأبي نعيم.
- تاريخ بغداد للخطيب.
- الإيضاح للنيسابوري.
- بشارة المصطفى للطبري.
- نور الأبصار للشبلنجي.
- سنن الدارمي ـ عبد الله بن بهرام الدارمي.
- صحيح البخاري ـ البخاري.
- صحيح مسلم ـ مسلم النيسابوري.
- سنن ابن ماجة ـ محمد بن يزيد القزويني.
- سنن الترمذي ـ الترمذي.
- مجمع البحرين ـ الشيخ الطريحي.
- سبل الهدى والرشاد ـ الصالحي الشامي.
- تعليقة العلامة الشعراني على شرح المازندراني لأصول الكافي.

الفهرس